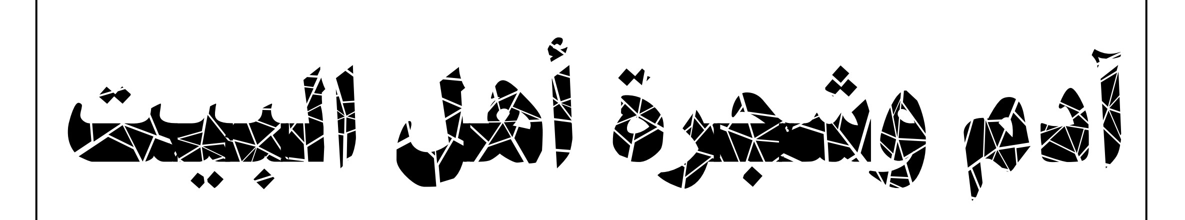
هوزان العربو







هوزان العربو



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبوي وإخوتي .... إلى أهلي و أصدقائي

إلى كل قارئ يخشى أن يكتب ما يدور في رأسه

إليك

المقدمة

ظهر الإسلام في عصر كان فيه التقليد والتعصب هو السيد والقاضي في كل ما يمس الشؤون الحياتية ، دينية كانت أم دنيوية ، فدعا إلى ترك التقليد والتعصب الأعمى ، وتحرير الفكر وتنظيفه من مخلفاتهما ، والتفكر في خلق السماوات والأرض والتأمل في خلق الإنسان ، وسعى دون كلل أو ملل إلى بناء الفكر الحر المبدع الذي يعبد – طوعاً – ربه ، بعد إقامة الدلائل على وجوده وتفنيد اعتقادات الآباء والأجداد ونبذ التعصب القبلي والعشائري وربط المؤمنين برابط الدين الواحد ، فتمكن من خلق جيل من المفكرين الأحرار ، الذين قاموا بنشر الدين وتعليم الناس مبادئ الدين الإسلامي السمح ، وتتابعت الأجيال المبدعة ، فتطورت الدولة الإسلامية في وقت قياسي ، وخطت خطوات باهرة في شتى العلوم ، واحتوت مختلف المذاهب والاتجاهات الفكرية ، وأصبحت قبلة لكل طالب للعلم والحقيقة . وبعد أن وصلت العلوم إلى ذروتها في الدولة الإسلامية ، بدأت مرحلة أخرى بالظهور ، تمثلت في عودة الأمور التي حاربها الإسلام ، كالتعصب والتقليد ، فبعد أن كان العالم يكتب ما توصل إليه من إبداع نتيجة إعماله لفكره في استنباطه لآيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ، أصبح العالم يكتب ما كتبه العلماء السابقون دون زيادة أو نقصان ، فيجمع أقوال العلماء في مجلدات ضخمة ، وبعد أن كانت الحجة تقرع بالحجة ، أصبحت الحجة تقرع بالاتهام والتكفير ، وبعد أن اختفت الآراء الشاذة طوعاً بإدراك أصحابها لخطأ هذه الآراء ، أصبحت الآراء المختلفة سواء أكانت شاذة أم لا ، تختفي

نتيجة خوف صاحبها على من مغبة هذه الآراء . في ظل هذا الواقع المظلم ، ظهرت أقلام شجاعة فكتبت ما تؤمن به من فكر حر معتدل غير متحيز دون أن تخاف لومة لائم ، فأصبحت شعاع نور تضيء عتمة ليل الإسلام ، غير أنها تعرضت لشتى أنواع الظلم والاضطهاد ، فولد ذلك مزيداً من الإصرار على كسر القيد الوهمي الذي يعرقل مسيرة الدين الإسلامي .

في خضم هذه الصحوة الفكرية الإسلامية ، توفرت أرضية ملائمة – نسبياً – لكثير من الكتاب لينشروا ما يراودهم من أفكار ، حتى لو كانت تعارض الرأي الإسلامي العام ، فالمهم ليس رضى الإسلاميين مما يكتب هؤلاء ، وإنما ما يهم فعلاً هو الوصول إلى الحقيقة . كمبتدئ ، كتبت هذا الكتاب ، وهو عبارة عما كانت تراودني من أفكار متعلقة بموضوعين متفرقين ، هما : قصة خلق آدم عليه السلام ، وحقيقة أهل البيت عليهم السلام . وكوني سنياً ، أظن أنني سأتلقى الكثير من الاتهامات بالتشيع ، لأنني أعلم بحال الذين يكتبون عن هذه المواضيع . مع ذلك ، لا يهم ما سأواجه ، مقارنة براحة البال والضمير الذي سأحصل عليه إن كتبت ما بداخلي بكل صراحة وشفافية ، والله الموفق .

القسم الأول

آدم وخلق الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

آدم عليه السلام

قبل الخوض في بعض الأمور المختلف عليها في قصة آدم عليه السلام أود أن أبدأ حديثي عن الإنسان الذي سبق آدم عليه السلام وقد أصبح وجوده من مسلمات العلم وبديهياته ، فلقد عاشت أنواع مختلفة من البشر خلال الأزمنة المختلفة ، ومن خلال مسيرة هذه الأنواع يظهر التطور الذي يرافقها واضحاً وجلياً وعصياً على الإنكار والجحود ، فالقامة تنتصب شيئاً فشيئاً وتتوسع الجمجمة شيئاً فشيئاً ، وهذا دليل على ازدياد حجم الدماغ وانتقال الإنسان من مرحلة (الغير عاقل) إلى مرحلة (العاقل) تدريجياً ، ويبدو الذي ينكر تطور الإنسان في هذا الزمن كمن يحاول أن يحجب نور الشمس بغربال !

أنواع الإنسان الذي سبق آدم عليه السلام

١ -رجل أستراليا القديم (Australopithecus) :

وهذا هو أول بشري وقف منتصباً وقد أُكتشِف لأول مرة في جنوبي إفريقيا عام 1924 ، حيث عثر على جمجمةٍ منفردةٍ محفوظةٍ جيداً .

وقد كان هذا النوع ذا توسع واسع في العالم القديم ، ويشبه هذا الإنسان الإنسان الحالي من جميع النواحي ما عدا اختلافه معه في حجم دماغه ، فهو ذو جمجمةٍ حجمها يتراوح من 500 – 550 سم3 ، ويتراوح طوله من 1,25 – 1,50 م ، وعظام الوجه تدل على أوصاف القرود والجمجمة لها عرف سهمي ويوجد نتوءٌ في الفقرة الخامسة من العمود الفقري والحوض واسعٌ والأسنان الأمامية صغيرةٌ أما النواجذ والأضراس فهي كبيرة .

وقد عثر في المواقع التي أكتشفت فيها مستحاثات هذا الإنسان على أدواتٍ حجريةٍ غير مصقولةٍ إلى جانب وجود جماجم مهشمةٍ لحيوانات البابون وغيرها ، وهذا دليلٌ على أنها كانت تتمتع بالفكر حيث كانت تصنع الأدوات وتستعمل الأسلحة بالرغم من صغر دماغها بالنسبة للإنسان الحالي (نصف الحجم) . وقد عاش هذا الإنسان منذ 4 ملايين سنة واستمر حتى 1 مليون

سنة ، وهذه الحقبة تقريبية .

٢ -الهومو أركتوس (Homo erectus) :

ظهر بعد إنسان أستراليا القديم نوعٌ آخر يتميز بحجم دماغه الأكبر وهو الهومو أركتوس ، حيث يصل يتراوح حجم جمجمته من 775 - 1200 سم3 ، وظهرت فيه الوقفة المستقيمة (أي ازداد الاعتدال عنده حتى أصبحت القامة مستقيمة) وعلى الجبهة انتفاخٌ ذهنيٌ فوق حجاج العين وآخر في قفا الجمجمة ، غير أن المظهر العام للوجه يقرب من النماذج البشرية التي ظهرت فيما بعد ، وكان كسابقه ذا انتشار واسع في العالم القديم وأُكتشِف لأول مرةٍ في (جاوة) عام 1891 .

استعمل هذا الإنسان مثل سابقه الأدوات الحجرية ، وخاصةً الفؤوس اليدوية الكبيرة المصنوعة من الحصى الصوانية المبرية من جانبٍ واحدٍ بعملية التشظية ، وقد أظهرت هذه الأدوات تقدماً متدرجاً في التصميم ما يدل على أن الإنسان أصبح أكثر مهارة في صنع الأدوات عندما ازداد حجم دماغه .

وفي مغارة (لازاريت) في نيس آثار أوتاد مغروزة في الأرض وحجارة مصفوفة كانت تشير إلى رسم حدود بين الساكنين ! هذا ، ويتراوح طوله بين 1,58 - 1,78م وقد اهتدى إلى النار وعاش منذ 1 مليون سنة واستمر إلى 150 ألف سنة . وقد وُجِد بعض مستحاثات هذا الإنسان مرافقةً لرجل

أستراليا القديم ما يدل على أن رجل أستراليا القديم لم ينقرض بظهور هذا النوع المتطور مباشرة وإنما عاش معه فترة طويلة من الزمن قبل أن يستبدل بهذا النوع نهائيا .

٣ -إنسان نياندرتال (Homo neanderthalensis) :

وهو عرق ذو عظام ضخمة تتراوح جمجمته بين 1300 - 1600 سم3 ومن المحتمل أن يكون عايش الإنسان العاقل وعرف هذا النوع كيف يصنع المواقد ، حيث أُكتُشِفت في أماكن إقامته في الكهوف مع مستحاثاته ، وقد يكون أيضاً أباً للإنسان العاقل .

كانت قامته متوسطةً على رجلين مستقيمتين تماماً ، وله وجهً مختلفٌ أيضاً عن وجه الإنسان الحالي . جبينٌ منخفضٌ مقتصرٌ أو قريبٌ من ذلك على انتفاخٍ ذهني فوق حجاج العين وبدون ذقن فيعطيه ذلك مظهر وجه بخرطوم . عاش منذ 100 ألف سنة واستمر حتى 40 ألف سنة .

4- الإنسان العاقل (الهومو سابينز Homo sapiens) :

ويتميز هذا النوع بأن القسم الخلفي تام لا انتفاخ فيه بعد أ ن اختفى بالتدريج خلال الأنواع السابقة نتيجة الانتصاب . وقد اهتدى هذا النوع إلى

الكتابة وعرف كيف يقطع الأحجار بمهارة وإحساس جمالي وتنوع وفعالية وله مهارات متنوعة . سعة جمجمته 1350 سم3 وعاش منذ 40 ألف سنة .

5- إنسان كرو- ماينون (Gro-Magnon) :

وهو أول إنسان له المميزات التشريحية للإنسان المعاصر وصفاته من الذكاء . وُجِد في جنوب فرنسا وقد رسم رسوماً لبعض الحيوانات التي اصطادها .

نلاحظ من التدرج السابق في التطور الذي أصاب الأنواع القديمة من الإنسان أن الإنسان الحالي (بنو آدم) ينتمون إلى هذه الأنواع كنتيجة حتمية للتطور ولا فائدة ترجى من إنكار حقائق العلم الحديث ، فما الأدلة على ذلك من القرآن الكريم ؟

ما ورد في القران الكريم في خلق الإنسان

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) } [البقرة] .

{ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11)** } [الأعراف] .

{ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)** } [المؤمنون] .

{ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9)**} [السجدة] .

{ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11)** } [الصافات] .

{ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26)** } [الحجر] .

{ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)** } [الحجر] .

{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) } [الإنسان] .

{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) } [التين] .

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) } [العلق] .

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) } [النحل] .

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) } [الفرقان]

{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) } [ص] .

{ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) } [مريم] .

{ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) } [يس] .

{ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

وَالْأُنْثَى (39) } [القيامة] .

{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) } [الكهف] .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) } [الحج] .

{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(11)} [فاطر] .

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) } [غافر] .

{ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) } [النجم] .

{ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) [عبس] .

{ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) }[نوح].

{ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133) } [الأنعام] .

{ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133) } [النساء] .

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) } [إبراهيم] .

{ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) } [فاطر] .

{ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) } [الزمر] .

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) } [الأعراف] .

{ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) } [الإسراء] .

{ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) } [الإسراء] .

{ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) } [الكهف] .

{ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) } [العنكبوت] .

{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) } [الروم] .

{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75)

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) } [ص] .

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) } [الأنعام] .

{ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) } [النور] .

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) }[الروم].

{ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28) } [لقمان] .

{ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15) } [ق] .

{ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39) } [المعارج] .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) } [البقرة] .

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) } [آل عمران] .

{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94) } [الأنعام] .

{ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) }[طه] .

{ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) } [الأنبياء] .

{ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) } [الشعراء] .

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) } [فاطر] .

{ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) } [المرسلات] .

{ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) } [المعارج] .

{ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) } [الإنسان] .

{ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) } [الواقعة] .

{ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (42) } [المؤمنون] .

{ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) } [الأنبياء] .

{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) } [الأنبياء] .

{ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18) } [نوح].

{ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) } [الرحمن] .

{ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) } [الطارق] .

{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) } [الانفطار] .

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) } [الأعراف] .

آدم عليه السلام في التوراة

تكوين 2 : اصحاح 2

7 وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. [8]وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. [9]وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. [10]وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: [11]اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. [12]وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. [13]وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. [14]وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابعُ الْفُرَاتُ.

[15]وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. [16]وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، [17]وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ

الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». [18]وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». [19]وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا.
[20]فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. [21]فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. [22]وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. [23]فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ». [24]لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. [25]وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.

اصحاح 3

[1]وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» [2]فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، [3]وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». [4]فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! [5]بَلِ اللهُ عَالِمٌ

أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ».
[6]فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ.
[7]فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.

[8]وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. [9]فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». [10]فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». [11]فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» [12]فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». [13]فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». [14]فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. [15]وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ».
[16]وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». [17]وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. [18]وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ،

وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. [19] بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

[20] وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. [21] وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.

[22] وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». [23] فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. [24] فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.

وبعد ، فهذا جل ما يتعلق بخلق الإنسان ومنه آدم عليه السلام مما ورد في القرآن الكريم والتوراة . بدايةً ، نبحث عن صحة أقوال الداروينيين عن أصل الإنسان بطريقة علمية .

خلال العصور الماضية ونتيجة لعدم توفر الأدلة المادية " فإن المفسرين القدامى للقرآن الكريم غير القادرين بالطبع على توقع ما سيبرهن عنه بعد قرون عدة ، لم يكونوا في موقع التصور بأن اهتمامهم بالتطور الجنيني لن يكون مختلفا عن ذلك العصر . ثم طرأت العاصفة الداروينية التي بتعد مبدئي واضح

من قبل أنصار العالم الانكليزي قد استكملت بتطبيقهم على الإنسان ، تطوراً حيث أن أدلتهم بالشمول لم يكونوا قد برهنوا عنها بعد عند الحيوان . وزعموا في ذلك العصر ، وبطريقة تجاوز الحد بأنهم يملكون الدليل على انحدار الإنسان من سلالة القرود ، هذا الدليل الذي لا يقدمه أي علم صادق للإحاثة حتى ولا في أيامنا هذه ، لا شك بأن ثمة فارقاً كبيراً بين تصور أصل الإنسان من القرد غير المدعوم كلياً ، وبين تحولات الشكل البشري عبر التاريخ المثبتة بكل دقة ، وقد بلغ الغموض ذروته عندما نضع بكل حماقة كبيرة مزيجاً من تصورين لكلمة واحدة وهي (التطور) ، هذا الغموض المؤسف حمل البعض على التصور – وهو خطأ بالتأكيد – بأنه إذا كانت الكلمة المغلوطة تتعلق بالإنسان فهذا يعني حكما بأننا ننسب أصله إلى السلالة القردية [1] " .

فالعلم حتى اليوم عندما يقدم تاريخ السلالات ، يربط بين سلالة الإنسان وسلالة القرود عن طريق الاحتمال ، فالعلم " لم يجلب الدليل بأي حال عن مصدر الإنسان انطلاقاً من الأشكال المتطورة الحالية للقرود . بل على العكس ، فإن كل شيء يجابه هذه الفرضية القديمة ، غير أنه بالمقابل دل العلم في وقت من الأوقات على أن نوعاً بشرياً قد ولد وأنه تحول تدريجياً لكي

---

(1)أصل الإنسان ص 185

يشكل الإنسان الحالي[1] " . فالإثباتات في هذا الصدد لا تعدو عن كونها بعض الأسنان وقطعة من الفك وقلنسوة الجمجمة وهي قاصرة بالتأكيد عن أن تثبت اتصال سلالة الإنسان بسلالة القرود عبر أب مشترك .

فرجل أستراليا القديم الذي يشكل الموجة الإنسانية الأقدم – حسب ما أكتشف من مستحجرات – لم يعش في الغابة كالقرود الكبيرة بل في السهل الكثير العشب . طول هذا الإنسان يتراوح بين 1,25 و 1,50 وله عظام وجه تدل على أوصاف القرود غير أنه منتصب وانحناءات العمود الفقري مماثلة للإنسان والثقب الخلفي للجمجمة في وضع أمامي بعكس القردة التي تكون فيها خلفية ومجموعة الأسنان لها خصائص بشرية وسعة الجمجمة تبلغ ما بين 500 و550 سم3 وعظام الجمجمة والأطراف تشبه إلى حد كبير عظام الإنسان (في الشكل وليس في الحجم) .

فالاختلافات جوهرية بين سلالة الإنسان (رجل أستراليا القديم) وبين سلالة القردة ، كما أن هناك اختلافاً أهم من تلك الاختلافات السابقة ، وهو أن رجل أستراليا القديم كان يتمتع بالفكر، فهو- وبحسب الاكتشافات – كان يصنع آلات يدوية ويستعملها ، فهذا إن دل فإنما يدل على القدرة على الخلق والابتكار، والقرود لا تملك هذه الخاصية حتى وإن كنا نرى أن بعض القرود

---

(1)المصدر السابق ص 224

تستعمل العصا لتضعها في خلية النمل وعندما تتسلق النمل على تلك العصا يقوم بإخراج العصا وأكلها ، وهي طريقة تبدو لأول وهلة وكأن القردة تتمتع بالفكر وإنما هي بالأصل ذاكرة قام القرد بتخزينها في حمضه النووي عبر العصور المتطاولة .

فمنذ أول ظهور له ، أظهر النوع الإنساني خصائص مختلفة تماماً عن السلالات الأخرى ، وأهمها – كما ذكرنا – الوقفة المنتصبة والفكر المبدع ، بغض النظر عن حجم الدماغ ، والذي يدعم ذلك أن العلم لم يستطع بأي طريقة الربط بين أقدم سلالة للإنسان بسلالات القرود ، كما أن العلم بالإضافة إلى ذلك لم يستطع أن يقدم أي إثبات مادي (إحاثي) في مجال اتصال الموجات الإنسانية نفسها ببعضها البعض ، وإنما في هذه الحالة – وبعكس الحالة الأولى – فإن التطور الذي يلاحظ من نوع إنساني إلى آخر ، والتشابه المذهل في الصفات التشريحية والوظيفية بين أقرب الأنواع إلينا والذي يعتبر أباً مباشراً للإنسان الحالي (إنسان كرو– ماينون) ، يدفع بالعلماء إلى التأكيد بأن هذه الأنواع تطور بعضها عن بعض . ونحن في هذا الكتاب سنحاول أن نستخرج ما يدعم هذه الحقائق من آيات القرآن الكريم ، والله الموفق .

آباء آدم عليه السلام

في البداية أعلم الله سبحانه وتعالى ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة فتساءلت الملائكة عن المغزى والهدف المرجو من جعل هذا المخلوق خليفة على الأرض إن كان سيسفك الدماء ، في حين أن الملائكة يعبدون الله سبحانه وتعالى ولا يعصونه ما أمرهم ، فهم أولى بأن يتخذ الله منهم خلفاء : **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)}** [البقرة] .

يفهم من هذه الآية أمور كثيرة ، وتعتبر هذه الآية مفتاحاً لفهم نشأة الإنسان وقصة آدم عليه السلام ، ففي البداية أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه سيجعل في " الأرض" خليفة ، وهذا يعني أن الجنة التي سينشئها الله سبحانه وتعالى ستكون على الأرض ، وهذا ما تؤكده التوراة – ونحن لا نأخذ من التوراة إلا ما يوافق أو يكون قريبا من معاني القران بحيث لا يخالفه مخالفة صريحة – فالجنة التي عملها الرب في التوراة كانت في عدن ولا معنى لكلام من قال بأنها جنة الخلد ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه .

ما نفهمه أيضا من هذه الآية هو أن الملائكة لم تكن جاهلة بحال الإنسان ، فها هي تتساءل في استغراب عن الحكمة من جعل مخلوق محب

لسفك الدماء يتملك في الأرض ويصبح الآمر الناهي فيها ، فلو لم تكن الملائكة تعلم ما هو الإنسان لما كانت أنكرت هذا الأمر ، إذ لو كانت تقصد الجن – بحسب بعض التفاسير – أو الحيوانات التي كانت تعيش على الأرض لاستدعى الذكاء منها أن تدرك اختلاف كل جنس عن غيره من الأجناس ، فالجن كانوا يختلفون عن الملائكة تمام الاختلاف والحيوانات تختلف عن الجن كذلك بشكل جذري . إذن ، لابد أنه كان هناك نوع من الإنس يفسد في الأرض ويسفك الدماء حتى نرى هذا الاستغراب من الملائكة ، كون أبناء الجنس الواحد متشابهين في الطباع .

الأمر الآخر أن الملائكة حين تساءلت ، تساءلت عن الحكمة في خلافة هذا المخلوق وهذا يعني أن للخلافة أكثر من معنى واحد ، وقد أجملها الراغب الأصفهاني كما يلي :

1- خلف ضد تقدم وسلف ، فيقال : تخلف فلان فلاناً إذا تأخر عنه .

2- خلف فلان فلاناً إذا قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده.

3- الخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف .

أولى هذه المعاني أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يسد آدم مسد سابقيه وأن يقوم بالأمر عنهم بعد أن عجزوا عن الإتيان به على وجهه وهذا لا شأن للملائكة به ، وثانيها القيام نيابة عن الغير(عن الله

سبحانه وتعالى) أي الحكم بين الخلق بالعدل والإنصاف والسير على الطريق المستقيم ، فالخلافة في هذه الحالة عن الله سبحانه وتعالى مسؤولية عظيمة ، وكلما كبرت المسؤولية دل ذلك على علو منزلة المسؤول وعظم الثقة الموضوعة فيه ، وهذا هو ما تساءلت الملائكة عنه وهو سبب تشريف الله لهذا المخلوق والحكمة من كل هذه الثقة الموضوعة فيه ، مع أنه محب لسفك الدماء بعكس الملائكة الطائعين الذين لا يحيدون عن الطريق القويم

فإن كان الله سبحانه وتعالى جعل آدم خليفة لمن سبقه ، فقد أصبح بذلك خليفة للجنس البشري كله ، يقول البروفسور " موريس بوكاي " : " ولو عدنا إلى مخطط النسالة للبشريات ، المنشورة في دائرة المعارف . اونيفرسال (المجلد 8 الصفحة 499) نجد بأن الموجات الثلاث الأولى التي كان يمكن أن يكون لها مصدر مشترك مع الرابعة ، كانت قد توقفت عن التوالد الواحدة تلو الأخرى ، وأن الثالثة تلاشت كليا منذ حوالي 40000 سنة وأن الموجة الرابعة كانت قد حلت محلها ، فولد منها الإنسان (Gro-Magnon)

و(الإنسان العاقل) الحالي . كل هذا ما هو الا فرضية ، إذ إن الاكتشافات الجديدة للإنسان المستحجر بوسعها أن تؤكد على هذا المخطط أو تنفيه ، ولكن بما هو متوافر لدينا الآن من معلومات علينا أن

نقبل به [1] " .

ولا شك أن كل شيء يتعلق بأصل الإنسان هو عبارة عن نظريات مبنية على الاكتشافات ، وهي قليلة نسبياً ، لذلك لا يستطيع العلم أن يؤكد شيئا ولكن تبقى الحقيقة تلوح لنا من وراء هذه النظريات لتظهر يوماً بعد أن تتقدم أساليب الاكتشافات بحيث يتوفر لدينا ما يكفي
للجزم بهذه النظريات ، فالآيات القرآنية لا تتعارض مع هذه النظريات ، بل على العكس تدعمها .
يقول تعالى في سورة التين : { **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** } . إن ما نفهمه من هذه الآية هو أن كمال الإنسان الخلقي أمر نسبي ، ولنا أن نتساءل هنا فنقول : بالنسبة لأي تقويم خلق الإنسان هو الأحسن ؟

أسلفنا أن الأنواع السابقة كان يتحسن مظهرها بشكل عام على مر الدهور ، فالطول كان في ازدياد مستمر والتناسق بين الأيدي والأرجل كان كذلك في تحسن مستمر ، وكان الدماغ يزداد كمالا

---

(1)أصل الإنسان ص 108

والوقفة تزداد استقامة وشكل الجمجمة كان يزداد اقترابا من الشكل الحالي ، فالانتفاخ في الجبهة كان يزول تدريجياً وانتفاخ القفا كان يزول تدريجياً كذلك ، فان قلنا بأن الله يقارن تقويمنا بتقويم الحيوانات التي نعيش معها فنحن نؤكد بأن الإنسان ينحدر من الحيوان لأن العلم يؤكد أنه تطور شيئاً فشيئاً ، حتى أصبح على هذه الصورة الحالية ، وهو تطور عن البشر السابقين عليه لا عن الحيوان ، فلا يمكن المقارنة بين الإنسان وأقرب المخلوقات إليه (القرد) لأن القرود لا تملك دماغاً أصلاً فإن قارنا بين البنية الجسدية ، لا يمكننا أن نقارن بين العقل ، إذ يمكننا فقط أن نقارن بين قليل وكثير ولا يمكننا أن نقارن بين موجود ومعدوم ، فإن قلت – مثلا – : برلين أجمل من المدينة الفلانية ، وعندما تستفسر عن تلك المدينة لا ترى لها وجودا على الخريطة ! كيف يمكنك أن تقارن في هذه الحالة ؟

لذلك ، لا يمكن إلا أن نقارن الإنسان بأنواع أقل تطوراً منه ، عاشت قبله و يمثل آدم عليه السلام قمة هذا التحسين . وهذا ما يؤكده العلم تماما ف " منذ ذلك الحين ، أي منذ المرحلة التي اكتمل بها شكل (الإنسان العاقل) لم يظهر بأن التطور قد خلق شيئاً جديداً . إذ إن الإنسان مع انتصابه واقفاً على قدمين بشكل مطلق ومحصلاته البنيوية وخصائصه التشريحية المميزة من جهة ، ونمو عقله المترافق مع ازدياد سعة

الجمجمة من جهة أخرى قد بلغ مرحلة الاستقرار ، إذ إن ارتقاء النفسية مع نمو القدرة على الاستيعاب والتفكير واتخاذ القرار والظاهرات التي تجعل التصرفات الآلية تنحسر ، كل ذلك جعل الإنسان يتكيف منذ عشرات الآلاف من السنين مع بيئاته الخارجية [1] "

فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أبدل الأقوام السابقة بنا عندما لم تقم بالأمر على وجهه ، فهذا ينطبق علينا نحن أيضا ، فإن شاء تعالى فسيذهب بنا نحن أيضاً بنفس الطريقة التي انقرض بها أسلافنا ويستخلف من بعدنا مخلوقات تكون أفضل منا ، لا تعصي الله عز وجل أو لا تصر على ذنوبها كما نفعل ، وهذا أمر يسير عليه متعلق بكلمة منه سبحانه . يقول تعالى : { **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ (133)** } [الأنعام] . لكن ، قد يقول قائل : المقصود بهذه الآية هو استبدال أقوام بأقوام كما استبدل سبحانه وتعالى قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب الأيكة وغيرهم بآخرين عندما ظلموا .
نقول : لو كان الأمر كذلك لما استخدم سبحانه كلمة (ما) فإن استعمالها يدل على التبديل في الصفات ، فالمقصود من هذه الآية استخلاف مخلوقات أخرى بصفات مختلفة ، يقول تعالى :

---

(1)أصل الإنسان ص 109

{ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45)** } [النور] . ولذلك لم يقل (من) لأن من تدل على الأشخاص ، فتقول : ما صفة فلان ومن هو ؟ بنفس الأسلوب أعلمنا الله أنه — إن شاء — فسيبدلنا بمخلوقات ذات صفات مختلفة عن صفاتنا ، قد يكونون بشراً لكن بمظهر مختلف كما نحن مختلفون عمن سبقونا ، وهي ذات الطريقة التي استخلفنا فيها ، ولاحظ استعماله لنفس الكلمة (استخلاف) تلك الطريقة التي أذهب الله بأولئك الأقوام جميعاً فانقرضوا وحل آدم عليه السلام محلهم ليبدأ خلق جديد بالحياة بنمط جديد من العيش .

والنقطة الأهم في هذه الآية هي الإتيان بنفس الصيغة مقارنة بالآية التالية { **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)**} [آل عمران :47] . فقال في خلق عيسى بأسلوب معجز (يخلق ما يشاء) وسنتناول التشابه بين خلق عيسى وآدم فيما بعد .

الآيات التالية تؤكد المعنى السابق ، فهي تعبر عن الأنواع التي إن شاء الله استخلفها من بعدنا ، تعبر عنها تارة ب" **آخرين** " و تارة ب

" **خلق جديد** " : { **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآَخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا** (**133**) } [النساء] .

{ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** (**19**) } [إبراهيم] .

{ **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** (**16**) } [فاطر] .

الآيات السابقة متطابقة تماما من حيث الصيغة حتى أن بعضها متشابهة في رقم الآية .

وتأتي الإشارة إلى هؤلاء الأقوام في آيات أخرى ، يقول الله عز وجل : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (**21**) } [البقرة] .

{ **وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ** (**184**) } [الشعراء] .

فالخطاب في هاتين الآيتين لبني آدم بتعبير (يا أيها الناس)

فمن هم الذين كانوا قبل الناس ؟ الخطاب عام لجميع الناس من بني آدم ، فلا يجوز أن نقول الخطاب لهذا الجيل الذي شهد نزول القرآن وإلا فنحن لم نشهد نزوله ، وإن قلنا فالخطاب لكل قارئ للقرآن ، فهل الذين الذين عاشوا قبل فترة الإسلام غير مأمورين أن يعبدوا الله تعالى ؟ نقول : الخطاب عام لكل بني آدم ، والذين سبقوا بني آدم أقوام من البشر هم آباء آدم عليه السلام .

وللمزيد مما يثبت صحة هذا الأمر، إليك الآيات التالية :

{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9)}

[السجدة] .

نلاحظ من هذه الآية أولاً : بدأ الله سبحانه وتعالى خلق هذا الجنس من طين . ثانياً : جعل نسله يتوالد من خلال الماء المهين (المني) . ثالثاً : سوى هذا النسل شيئا فشيئا من خلال استعمال " ثم " للتراخي في الزمن ، ونفخ فيه من روحه والنفخ في بني آدم من روح الله هو مناط التشريف والتكريم وإلا فالذين سبقوا آدم عليه السلام كانت لهم أرواح ، وللحيوان روح وللجن روح ولكنها تختلف عن روح الإنسان لأن الله سبحانه وتعالى يقول عن آدم " ونفخت فيه من روحي " وإضافة ياء المتكلم هنا توحي بالتفخيم والتعظيم لتلك الروح .

رابعاً : جعل لبني آدم السمع والأبصار والأفئدة ، والسمع والبصر والفؤاد هنا يقصد به قدرة الإنسان على تمييز الخير من الشر وإلا فالذين سبقوا الإنسان العاقل كانت لهم أعين وآذان وقلوب ، لكن العبرة في استعمالها في الخير ، فقد بينت الاكتشافات أن أبوين من إنسان النياندرتال قاما بذبح أولادهما وأكلهم مع العلم أن الاكتشافات

كانت تؤكد أنهما لم يفعلا هذا نتيجة للجوع ، فعظام الحيوانات كانت تملأ المكان مما يدل على أن الصيد كان وفيرا ، فربما قاما بذلك تنفيذا لطقوس معينة ، مما يدل على انعدام الجانب الوجداني مع أن إنسان النياندرتال كان يملك الفكر .

إذن ، فمن الآيات السابقة يتوضح خلق الإنسان الأول ، ثم التسوية ، ثم خلق آدم بعد اكتمال التسوية ، وإن شئت اقرأ الآية التالية : { **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11)** } [الأعراف] . فههنا يبين الله سبحانه وتعالى بأن الخلق والتصوير كانا سابقين على وجود آدم كما في الآيات السابقة . والله أعلم .

تبقى هنا ملاحظة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم في موضعين مختلفين ، في الموضع الأول يقول :

{ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72)** } [ص] . وفي الموضع الثاني : { **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)** } [البقرة] . قد يكون الأمر واحداً والصيغ مختلفة ، أو قد يكون الله سبحانه وتعالى أمر

الملائكة مرتين ، إحداهما عندما خلق الإنسان الأول ، لذلك قال :
{ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** } . ونحن نعلم أن " إذا " تدل على الظرفية الزمانية ، أي أن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عندما يكتمل خلقه ، فالأمر هنا غير مباشر ، بينما في الآية الأخرى نرى أمراً مباشراً بعد خلق اكتمال خلق آدم عليه السلام ، وكل ذلك يؤكد أن هناك بشرا عاشوا قبل آدم ، ويمثل آدم كمال تسويتهم الخلقية وبخلق كريم مختلف.

بعد ذلك كله ، فإن قال قائل : فكيف يقول الله سبحانه وتعالى بأنه خلق آدم بيديه ومن التراب ؟

أما مسألة الخلق بيديه ، فإن الله سبحانه وتعالى : { **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47)** } [الذاريات] . فقد تكلم العلماء في تفسير هذه الآية ومثيلاتها قديماً وحديثاً ، وما يهمنا أن هذه الآيات تفسر بالرمز ، ففي قوله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)** } [الفتح] .
أي هو حاضر معهم شاهد لبيعتهم وهو المبايع بواسطة رسول الله ، ولا يعني أن الله يضع يده فوق أيديهم حقيقة . وعندما يقول تعالى :
{ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47)** } [الذاريات] .

فالأيدي هنا تعني القوى التي تحفظ السماء من التفكك وهي القوى المغناطيسية بأنواعها ..

أما مسألة الخلق من تراب فهي مسألة تكاد تكون بديهية فما كان أصله من عناصر التراب فهو من تراب ، يقول تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)** } [الحج] .

فأصل كل إنسان من عناصر التراب ، إذ إن كل عنصر من عناصر جسم الإنسان موجود في التراب ، وغذاؤنا سواء أكان حيوانياً أو نباتياً ، فهو من التراب ، فكل حياتنا متوقفة على التراب والماء فنحن من التراب وإليه ، ومع ذلك قد يكون آدم خلق حقيقة من التراب ، ولكن وفق الآية الآتية ..

{ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)** } [آل عمران] .

نعرف أن المسيح خلق من دون أب ولكن له أم هي مريم بنت عمران ، ومع ذلك قال تعالى "خلقه من تراب" ما يعني أن الأصل منه تراب وبنفس الطريقة خلق آدم عليه السلام ، وقد ذكر أن في بعض مدن الهند قبراً يقال إنه لأم آدم عليه السلام وهذا لا يعتد به ، وإنما ذكرته للاستئناس ، والله أعلم .

مم خلق الخلق ومنهم آدم عليه السلام ؟

تقدم القول بأنه كان هناك أقوام على الأرض ، فسفكوا الدماء فقرر الله سبحانه وتعالى أن يبيدهم ويأتي بخلق جديد ، فأخذ من الأرض كله تربة مختلطة وأنبتها في رحم امرأة ، فولد آدم كما ولد المسيح عليهما السلام ، وهذا هو التكوين المادي لجسم آدم عليه السلام ، ولكن ما هي المادة الأخرى التي خلطت مع التراب فأضحى التراب طيناً ؟

يبدو هذا السؤال بديهياً ، فالذي يختلط مع التراب ويعطي الطين هو الماء وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الكريم . لكن الذي سنبحث فيه ههنا هو ماهية هذا الماء . وهو أمر أظن أنه اختلط على القاصي والداني ، ويبدو هذا الاختلاط واضحاً في كلام الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه لحديث أبي هريرة في صحيح مسلم ، الذي يقول فيه أبو هريرة : " فتلك أمكم يا بني ماء السماء " . فيقول الإمام النووي ، وهو يشرح هذا القول : " قوله : (قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء) قال كثيرون : المراد ببني ماء السماء العرب كلهم ، لخلوص نسبهم ، وصفائه .

وقيل : لأن أكثرهم أصحاب مواشي ، وعيشهم من المرعى والخصب ، وما ينبت بماء السماء . وقال القاضي : الأظهر عندي أن المراد بذلك الأنصار خاصة ، ونسبتهم إلى جدهم عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن

مازن بن الأدد وكان يعرف بماء السماء ، وهو المشهور بذلك ، والأنصار كلهم من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المذكور[1] " .

. فمن هو ماء السماء ؟ ترى هل يقصد أبو هريرة آدم عليه السلام ؟ لنكتشف ذلك ..

البداية في هذا الموضوع ، هو ما أورده البخاري في صحيحه : " عن عمران بن حصين قال إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم ، فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم ! قالوا : بشرتنا فأعطنا . فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم ! قالوا قبلنا . جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان . قال : كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء[2] " .

---

(1)شرح النووي على مسلم 15 / 511

(2)صحيح البخاري 6 / 2699

فمما هو ظاهر من هذا الحديث الشريف أن الله سبحانه وتعالى خلق أول ما خلق ثلاثة أشياء : العرش ، والماء ، والقلم على اختلاف بين العلماء في أيها خلق أولا ، ثم خلق الباري عز وجل السماوات والأرض بعد هؤلاء الثلاثة . فكيف خلقت السماوات والأرض ؟

بحسب نظرية الانفجار العظيم – وهي النظرية الأكثر قبولاً بين علماء العصر الحديث ، والأكثر قدرة على تفسير ظواهر الكون المختلفة – وبحسب آيات القرآن نفسه ، فإن السماوات والأرض كانتا "رتقا" : أي شيئاً واحداً متصلاً (كتلة صغيرة الحجم عظيمة الضغط والحرارة لدرجة يعجز العقل عن وصفها) ، ففتقهما الله عز وجل ، فحدث الانفجار العظيم ، فأصبحت تلك الكتلة عبارة عن دخان مؤلف من الجسيمات الأساسية للمادة { **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** (**11**) } [فصلت] . وبعد انخفاض درجة حرارة الكون حصل التكاثف بين هذه المواد الدقيقة ، لتعطي جسيمات أكبر حجماً والتي أعطت بدورها – بعد التكاثف – ذرات الهيدروجين ..

في السدم الغازية الدائرة حول نفسها وبعد عمليات اندماج نووي مستمر ظهرت ذرات الأوكسجين في النجوم الناتجة ، فظهرت إمكانية الحصول على الماء الذي تتكون الجزيئة منه من ارتباط ذرتين من الهيدروجين مع ذرة من الأكسجين ، وهكذا ظهر الماء الذي نعرفه بعد خلق السماوات والأرض . ولكن الحديث السابق يتحدث عن ماء كان موجودا قبل خلق السماوات

والأرض ، فهل كانت جزيئات مستقلة من الماء " يرف " عليها العرش كما تقول التوراة ، أم أنه تعبير عن شيء آخر بلفظ الماء ؟ .

الظاهر أن هذا الماء مختلف عن الماء الذي نعرفه ، لأنه كان مخلوقاً قبل السماوات والأرض ، وأيضا لسبب آخر وهو أن هذا الماء خلق منه كل شيء . يقول تعالى : { **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)** } [الأنبياء] .

قد يقول قائل : وما الغريب في أن الله سبحانه وتعالى خلق النباتات والحيوانات والإنسان من الماء الذي نعرفه ؟ نقول : أليس الجن والملائكة من الأحياء ؟ فهل خلق الجن من الماء الذي نعرفه ؟ لقد خلق الجن من النار فكيف يمكن التوفيق بين القولين في هذه الحالة ؟ يمكن التوفيق بين القولين كما يلي : ما كان له صفة إحيائية فهو ماء ، وكل المخلوقات الحية خلقت من الماء .

أما بالنسبة لموضع ذلك الماء يقول الباري عز وجل : { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)** } [هود] . فموضع هذا الماء تحت العرش ،

وتؤكد التوراة هذا المعنى أيضاً بأن العرش كان يرف على الماء ، ولكن نعرف أن جنة الفردوس سقفها عرش الرحمن فهي إذن تحت العرش .

يبقى لنا أن نبحث عما في جنة الفردوس من ماء ، فنجد الحديث التالي " عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت إلى السدرة فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران

أقداح قدح فيه لبن وقدح فيه عسل وقدح فيه خمر ، فأخذت الذي فيه اللبن فشربت فقيل لي أصبت الفطرة أنت وأمتك[1] " .

فالأنهار التي عند سدرة المنتهى ، فوقها عرش الرحمن بما أن السدرة موجودة في السماء السابعة ، ويورد ابن كثر حديثا عن ابن عباس في تفسير الآية "وإذا النفوس زوجت" ، يقول ابن عباس : " يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عاما، فينبت منه كل خلق بلي، من الإنسان أو طير أو دابة، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض . قد نبتوا، ثم تُرسَل الأرواح فتزوج الأجساد، فذلك

(1)صحيح البخاري 5 / 2128

قول الله تعالى : { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } "[1] .

كما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة[2] " .

فالماء الذي تحت العرش هو الماء الذي خلق منه كل شيء ، وليس هذا القول اعتباطيا فإن تأملت خلق الإنسان في القرآن ، ستلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يقول في الآيتين (17 – 18) من سورة نوح : { **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18)** } . وهذا التعبير يتم التأكيد عليه في مواضع عدة من القرآن الكريم ، فالإنبات من الأرض حقيقة في خلق الإنسان الأول ، وكذلك التأكيد على البعث بنفس

---

(1)تفسير ابن كثير 8 / 333

(2)صحيح البخاري 3 / 1028

الطرية الأولى . انظر إلى الآيات التالية : { **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)** } [الأنبياء] .

{ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29)** } [الأعراف] .

{ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)** } [طه].

لا تستدعي الآيات السابقة مناقشة كثيرة ، فهي واضحة الدلالة و جميعها يتحدث عن إعادة الخلق يوم القيامة بنفس الطريق التي تم فيها الخلق الأول ، ولكن كيف يمكن ذلك وكل إنسان يخلق في بطن أمه ، في حين أن الخلق في الآخرة ينبت مباشرة من الأرض ؟ يقول تعالى : { **مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28)** } [لقمان] .

الزرع يحتاج إلى أرض وبذرة وماء ، فإن كانت الأرض تتمثل برحم الأم ، والماء يمثله ماء الرجل ، فأين البذرة ؟ نقول : البذرة مشتركة بين الرجل والمرأة ، وهي عبارة عن ماء الرجل وبيضة المرأة ، والأرض هي رحم المرأة ، والماء رباني ينزل من السماء . ولا ننسى أنه في حديث المعراج كان هناك نهران ظاهران ، وهما في الدنيا ، ونهران "باطنان" ، فالباطنان (ماء الحياة) هما أصل الحياة ، والظاهران (الماء الطبيعي) مكملان للحياة ولا تستمر بدونهما .

من جهة أخرى ، كيف يمكن تفسير الخلية الحية دينياً ؟ لا يمكن أن نقول ليس لها روح وبالتالي فهي ميتة ، وكذلك لا يمكن أن نقول أن لها روحاً . إن عدم وجود روح لا يعني انعدام الحياة ، وإنما وجود ذلك الماء شرط لكل حياة .

يوضح القرآن الكريم هذا الأمر أتم الوضوح ، فهو لا يذكر اثنتين فقط من العناصر التي يتشكل منها الإنسان كما يظن جميع الناس : الماء والتراب بل يذكر القرآن ثلاثة عناصر ، فانظر إلى الآيات التالية . يقول تعالى :

{ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8)** } [السجدة] .

{ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)** } [الإنسان] . { **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)** }[النحل]

{ **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21)** } [المرسلات] .

{ **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)** } [الطارق] .

في هذه الآيات ، يتحدث القرآن الكريم عن : ماء مهين – نطفة أمشاج – نطفة – ماء دافق . هذه الأسماء الثلاثة تتحدث عن شيء واحد ، وهو المزيج من ماء (نطفة) الرجل وبيضة المرأة ، وهي – كما قلنا – البذرة

، بدليل أن الله يقول : { **فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** } . والمقصود بالقرار المكين رحم المرأة ، ولا يستقر في الرحم إلا البيضة الملقحة .

بعد ذلك ، يتحدث القرآن عن أصل آخر للإنسان ، فيقول :

{ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37)** } [الكهف] .

{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)** } [الحج] .

{ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11)** } [فاطر] .

هنا يذكر الله عنصراً آخر من عناصر تكوين الإنسان ، وهو التراب . هذا التراب هو أصل البيضة الملقحة ، لأن البيضة الملقحة تتكون من العناصر الموجودة في التراب . إن اجتماع التراب مع السوائل في البيضة الملقحة يشكل

الطين الذي يتكون منه جسم الإنسان : { **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)** } [ص] .

ثم يذكر تعالى "الماء" في موضعين معرفاً ب (ال) وغير موصوف ، فيقول :

{ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54)** } [الفرقان] { **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)** } [الأنبياء].

هذا الماء مغاير لما سبقه من النطفة الأمشاج ، بدليل خلق كل كل شيء منها وبدليل مجيئها معرفة لتشابه الماء الوارد في الآية : { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)** } [هود] . ففي

سورة الأنبياء : فتق السماوات والأرض وخلق من الماء كل شيء ، وفي سورة هود خلق السماوات والأرض وكان عرشه على الماء ، فالماء الذي خلق منه كل شيء هو الذي كان تحت العرش عند خلق السماوات والأرض .

كيفما كان التعبير عن هذا الماء ، فإن هذا الماء لا يشبه الماء الطبيعي ،لأن ما في الجنة لا يشبه ما في الأرض ، ومن جهة أخرى فإن الماء الذي يخلق منه الإنسان غير موجود على الأرض وإنما يأتي من السماء ، انظر الى قوله تعالى : { **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45)** } [الكهف] . الحياة على الأرض هي حياة الإنسان ، تبدأ بماء ينزل من السماء فيختلط بالبذرة الموجودة في الأرض فتدب فيها الحياة وتنمو لتصبح جنيناً ، وينفخ فيه الروح فيستمر بالحياة حتى يولد ويكبر ويطعن في السن ، ثم يموت فيصبح هشيما تذروه الرياح فيتناثر تراباً كما كان .

نفخ الروح في آدم عليه السلام :

ما الفرق بين الماء والروح ؟

باختصار شديد ، الماء هو الذي يجعل الخلايا الحية حية ، وقد أنزل على الكائن الأول من كل شيء ، فأصبح حياً وورّث هذه الحياة إلى نسله ، فالحيوان المنوي (الحي) ينتقل من الأب إلى الأم فيتحد مع البيضة (الحية) فتنقسم بدقة متناهية وبأسلوب معجز . هذه العمليات نتيجة للحياة التي أعطاها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، مع العلم أن هذه العمليات المعقدة التي تقوم بها الخلايا الحية تكون قبل نفخ الروح . هذا بالنسبة للإنسان ، ولنأت إلى النبات ، فنرى أنه حي بدون روح . فما هذه الحياة التي فيه إلا الماء الذي أنزل على النبات الأول .

أما الروح ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** (**85**) } [الإسراء] . فليس لنا أن نخوض في ماهيته ، لكن – مع ذلك – وردت إشارات عن طريقة نفخ هذا الروح في آدم عليه السلام ، فمن جملة ما هو متشابه بين السيد المسيح وأبينا آدم عليهما السلام ، طريقة نفخ الروح فيهما ، ويبدو أن الموكل بهذا الأمر هو جبريل عليه السلام ، فهو الذي قام بنفخ الروح في جيب درع مريم ، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج ، فحملت بعيسى عليه السلام ،

والله سبحانه وتعالى يقول :{ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** (**12**) } [التحريم] . وبما أن الملائكة تقوم بالأمور بأمر الله فالله هو الذي يفعل ، وهو خالق كل الأعمال ، فلا إشكال - إذن – في فهمنا لقوله تعالى بحق آدم عليه السلام : { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** (**29**) } [الحجر] . على أن جبريل عليه السلام هو الذي نفخ فيه ، ثم إن جبريل هو الروح الأمين ، وهو روح الله فلا بد أن يكون هو الموكل بهذه المهمة ، ويصبح التعبير هكذا : (نفخ في آدم من روح الله جبريل عليه السلام) .

لمن سجدت الملائكة ؟

ولد آدم عليه السلام ولبث ما شاء أن يلبث في الجنة ، وكان إبليس يتفحصه ، فيدخل جوفه ويخرج ، فعلم أنه مخلوق ضعيف لا يتمالك " عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك[1] " . وعندما بلغ آدم عليه السلام عمراً معينا أمر الله الملائكة أن تسجد له ، وهنا يخطر لنا سؤال ، وهو : عندما سجدت

---

(1)صحيح مسلم 4 / 2016

الملائكة لآدم عليه السلام ، هل كانت ذريته في صلبه ،وبالتالي سجدت الملائكة لكل بني آدم صالحهم وطالحهم ؟أم أن السجود كان لآدم وحده خصه الله سبحانه وتعالى به ؟

بعد أن خلق الله سبحانه آدم عليه السلام ولبث ما شاء أن يلبث ، سجدت له الملائكة امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى ، ثم أمر الله آدم بالحذر من إبليس الذي رفض أن يسجد له ، ووضع الله آدم في الجنة وأمره بأمر آخر وهو عدم الأكل من الشجرة ، فغره إبليس فأكل منها . إلى هذا الوقت لم يكن الله سبحانه وتعالى قد اجتبى آدم ، وهذه القصة مشابهة لقصة يونس عليه السلام ، أمره الله بأمر فعصى ، ثم بعد المعصية شاء الله أن يتوب عليه فتاب عليه واجتباه وجعله من الصالحين . فآدم كان مقدراً له أن يكون من المصطفين ، ولكنه لم يكن قد أصطفي بعد عندما سجدت له الملائكة ، ثم بعد ذلك الامتحان الصغير وفشل آدم فيه وإدراكه لضعفه الشديد ومناجاته لله ، اجتباه الله بعد أن علمه درساً ، وهو أنه دائم الافتقار إلى بارئه ..

كيف اجتبى الله آدم عليه السلام؟

للإجابة عن هذا السؤال ، لا بد أن نقارن بين آيتين من القرآن ، تتحدثان عن الحادثة نفسها من قصة آدم عليه السلام ، الأولى : { **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)** } [طه] . والثانية : { **وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)** } [البقرة] .

هاتان الآيتان تتحدثان معصية أدم لله ثم اصطفاء الله له بعد أن أكل من الشجرة ، فتاب عليه وهداه وجعله من الصالحين ، وإذا قابلت بين الآيتين سترى أن " ثم اجتباه " تقابل " فتلقى آدم من ربه كلمات " . و " فتاب عليه " تقابل " فتاب عليه " . فالحدث الذي سبق توبة الله على آدم هو ذات الحدث بألفاظ مختلفة .

فالاجتباء – إذن – كان بأن تلقى آدم من ربه كلمات معينة ، ولكن

الله عز وجل كان قد علم آدم الأسماء كلها من قبل : { **وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)** } [البقرة] . فآدم عليه السلام كان عليماً قبل هذه الحادثة ، فما هذه الكلمات التي لم يكن آدم قد تلقاها بعد من رب العالمين ؟

لمعرفة ذلك ، بحثت في القرآن الكريم عن لفظة " كلمة " وبحثت في التفاسير عن معناها في كل آية ، فلاحظت أمراً غريباً ، وهو أن المفسرين اختلفوا في معنى " كلمة " و " كلمات " في أغلب آيات القرآن ، وفسروها كل حسب رأيه ، فرأيت أن أبحث عنها في كل آية على حدة ، ثم أقارنها للتوصل إلى شيء بخصوصها ، وهذا ما توصلت إليه :

يقول تعالى : { **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)** } [التوبة] . هذه الآية تحث المؤمنين على نصرة النبي صلى الله عليه وعلى آله ، ويبين الله للمؤمنين أنهم إن تقاعسوا عن نصرته فإن الله هو ناصره ، أفلا يتذكر المؤمنون كيف

نصره الله عندما كان هو وأبو بكر في الغار فأعمى أبصار المشركين فلم يروه ، وجعل " كلمة الذين كفروا " هي السفلى و " كلمة الله " هي العليا .

نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ، أثناء الحديث عن النبي صلى عليه وعلى آله ، انتقل إلى الحديث عن كلمتين إحداهما وضعها الله ، والثانية رفعها الله ، أفلا يجوز أن تكون هذه الكلمة هي النبي ذاته ، فالآية تتحدث عنه أصلا وقد نصره الله فجعله الأعلى ، ونتذكر ههنا قول الله عز وجل لموسى عليه السلام عندما حضر الناس ليروا آيات موسى ، فألقى السحرة عصيهم ، فسحروا أعين الناس وخيل إليهم أنها تتحرك وتسعى ، فخاف موسى عليه السلام ، فقال الله سبحانه : { **قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68)** } [طه] . وبعد ذلك يقول تعالى لموسى عليه السلام : { **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى(70)** } [طه] . فعندما نصر الله موسى عليه السلام ، أصبح موسى هو الأعلى ، وفرعون هو الأسفل و الأدنى . كذلك الأمر بالنسبة للنبي صلى الله عليه وعلى آله ، فعندما نصره الله سبحانه وتعالى أصبح هو الأعلى وكلمة الذين كفروا (رأس قريش وقتها أو الشيطان) .

قد يسأل سائل : فما الذي يمكن أن يربط بين " كلمة " وبين رجل ؟ أقول : هذا وارد في القرآن في أكثر من موضع . انظر إلى قوله تعالى :

{ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)** } [إبراهيم] .

يتفق المفسرون على أن المقصود بالكلمة في هذه الآيات هي المؤمن (الكلمة الطيبة) ، والكافر (الكلمة الخبيثة) ، وذلك بدليل أن الآية التي تليها تقول : { **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء** } فالمؤمنون هم الثابتون ، والكافرون ليس لمعتقدهم أي أساس إلا الهوى ، لذلك يترنحون ويتخبطون في الغي والضلال : { **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)** } [البقرة] .

يقول تعالى في آيات أخرى : { **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (29) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (30) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**

(31) } [الزخرف] . يقول القرطبي : " أي وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه وهم ولده وولد ولده[1] " .

ثم يذكر أنه قيل الكلمة " النبوة " ويقول بعد ذلك في الآيات الأخرى : " حتى جاءهم الحق أي محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والإسلام الذي هو أصل دين إبراهيم ، وهو الكلمة التي بقاها الله في عقبه[2] " . فقد أكد القرطبي هذا المعنى تماما .

لننتقل الآن إلى آية أخرى : { **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26)** } [الفتح] .

اختلف المفسرون في المراد من " كلمة التقوى " ، أما قياساً على ما سبق يمكن ردها أيضا لتدل على النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فالسكينة أنزلت على النبي وأنزلت على المؤمنين وقد فرق الله بينهما بحرف جر مكرر (على) ، فلمْ يقل " فأنزل الله سكينته على رسوله والمؤمنين " بل " وعلى

---

(1)تفسير القرطبي 16 / 77

(2)تفسير القرطبي 16 / 82

المؤمنين " ، وبذلك يحتمل أن (واو الجماعة) تعود على المؤمنين ويكون النبي هو كلمة التقوى التي ألزم الله المؤمنين بها ، وكانوا أحق بها من المشركين أولي القرابة .

إن لفظة " كلمات " لا تعدو عن كونها جمعاً ل" كلمة " سواء أكانت بمعنى الكلام العادي ، أو بمعنى المؤمن ، انظر إلى الآيتين التاليتين :
{ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) } [الكهف] .

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(28)} [لقمان] .

تدل لفظة " كلمات " هنا أيضاً تدل على المعنى السابق ، فالبحر عبارة عن ماء ، وقد جعل الله من الماء كل شيء حي ، والأشجار عائلات ، والأشجار عندما تؤتي أكلها - كما سيأتي لاحقاً – فهذا الأُكُل كلمات ، إن طيبة فمؤمنون ، وإن خبيثة فكفار – وهنا المقصود الكلمات الطيبة - ولكي تؤتي هذه الأشجار ثمارها تحتاج إلى الماء ، وعند الكتابة تستهلك الأشجار ، فكل فرد يستهلك من أبويه طاقة كما تستهلك الكتابة من القلم (الأب)

طاقة وتستهلك من الصفحة (الأم) شيئاً فشيئاً ، وكلمات الله الطيبة كثيرة ، يقول تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4)** } [الفتح] .

ولذلك بعد ذكر الكلمات ، ذكر الله سبحانه وتعالى العزة {عزيز حكيم } ولم يذكر العلم ، مع أن الكلمات تدل على العلم ، ومن حيث الكثرة لك أن تقارن بين الآيتين السابقتين لتعلم أن المقصود بالكلمات الطيبة جنود الله ، الذين يحق الله بهم الحق : { **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)** } [يونس] . فقد ذكر الله هنا نبيه موسى وقصته مع السحرة ، وذكر كيف أن الله حق الحق بهذا النبي الكريم وخرّ السحرة وزهق الباطل ، وكيف آمنت ذرية من بني إسرائيل به بعد أن رأوا الآيات وتبين لهم الحق وأن موسى عليه السلام نبي مرسل .

يقول تعالى عن مريم عليها السلام : { **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)** } [التحريم] . نعلم أن المسيح عليه السلام كلمة

من كلمات الله ألقاها إلى مريم الصديقة التي آمنت بنبوته وشرفه ، كما آمنت بجميع كلمات الله وكتبه . فإن قلت الكلمات هنا هي (الباقيات الصالحات) . نقول : أفليست الباقيات الصالحات أصلا مذكورة في كتب الله؟ فذِكر الكتب يغني عن كلمات قليلة ، ولكن الإيمان يكون بالرسل والكتب ، والرسل هم من الكلمات . لذلك ، كان إيمان مريم بالكلمات إيماناً بعيسى وبغيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام .

يقول الله سبحانه وتعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم : { **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24)** } [الشورى] . ولك أن تقارن هذه الآية مع الآية : { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)** } [التوبة] .
وستلاحظ أن المعنى واحد ، فالنبي من كلمات الله أرسله الله ليحق به الحق ولو كره المجرمون .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة[1] " .

---

(1)صحيح البخاري 3 / 1496

فالتصديق هنا هو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم . وهناك آيات أخرى تركتُ ذكرها خشيت الإطالة .

فالكلمات – مما تقدم — قسمان : طيبة ، وهي كل من يُحِق الله بهم الحق من الملائكة والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم من صالحي الجن ومن العوالم الأخرى لا نعلم عدتهم . خبيثة ، وهي شياطين الجن والإنس ، ولا نعرف عدتهم كذلك .

بالعودة إلى آدم عليه السلام ، فقد تلقى من الله سبحانه كلمات طيبة وخبيثة ، فأما الطيبة – كما ذكرنا – هي الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وأما الخبيثة ، فهي شياطين الإنس ، وهذا هو اجتباء الله لآدم بأن جعل في ذريته الخير والشر ليحمل آدم والكلمات الطيبة من ذريته الأمانة ، وهي الحكم بما أنزل الله ، ومجابهة قوى كلمات الشر ، التي ستحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تلغي أحكام الله على الأرض وتنشر الفساد يعاونها في ذلك إبليس وبنوه .

أورد الترمذي في سننه : " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذنه ، فقال له ربه : يرحمك الله يا آدم . اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس ، فقل السلام عليكم قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ،

ثم رجع إلى ربه ، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم ، فقال الله له – ويداه مقبوضتان – اختر أيهما شئت . قال : اخترت يمين ربي ، وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته ، فقال : أي رب ! ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم . قال : يا رب من هذا ؟ قال ": هذا ابنك داود ، قد كتبت له عمر أربعين سنة . قال : يا رب زده في عمره . قال : ذاك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة . قال : أنت وذاك . قال : ثم أسكن الجنة ما شاء الله ، ثم أهبط منها فكان آدم يعد لنفسه . قال : فأتاه ملك الموت ، فقال له آدم : قد عجلت . قد كتب لي ألف سنة . قال : بلى ، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة ، فجحد فجحدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته . قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود[1] " .

وهذا – والله أعلم – كان بعد أن سجدت الملائكة لآدم عليه السلام .

---

(1)سنن الترمذي 5 / 422 - 423

هل كان المسيح بين الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ؟

نقول أن المسيح لم يكن بين أولئك ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) } [الآية] .

فقد تلقى آدم عليه السلام من الله سبحانه وتعالى كلمات كثيرة ، وأجلت كلمة - والله أعلم – لتتلقاها مريم تشريفاً لها ولعيسى عليهما السلام . لاحظ كيف استخدم القرآن نفس الكلمات " تلقى - ألقى " في الآيتين ، فعيسى ممن لم يتلقاهم آدم ، فلم يكن في صلب آدم ، فولد من دون أب عليه السلام .

ذكر الجنة التي أسكن الله سبحانه آدم فيها

قلنا في أول الكتاب أن جنة آدم كانت على الأرض ، ونعتمد هنا على قول الله تعالى بأنه جاعل في الأرض خليفة . ونعتمد على الابتلاء الذي ابتلي به آدم عليه السلام في تلك الجنة وعلى تأكيد التوراة لهذا الأمر .

أوصاف الجنة التي وضع فيها آدم عليه السلام :

- كانت مظللة بالأشجار ، بحيث لا ترى الشمس : { وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى } [طه] .
- كانت وفيرة الخيرات ، بحيث لا يجوع من يعيش فيها ولا يعطش : { وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى } .
- في وسطها شجرة الخلد : " [9]وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة " [تكوين:2] .
- فيها نهر ينقسم إلى أربعة أنهر : فيشون وجيجون وحداقل والفرات [الآيات 10 -11-12-13-14. تكوين : 2]
- فيها شجرة معرفة الخير والشر: "وشجرة معرفة الخير والشر" [تكوين2]
- كان آدم وزوجه في هذه الجنة عليهما لباس معين بحيث لايريان سوآتهما.

يبقى هنا شيء غامض ، وهو ما ذكره التوراة بأنه كان في الجنة شجرة

تدعى شجرة معرفة الخير والشر فما هي هذه الشجرة ؟

ذكر الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام :

تصف التوراة الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام بأنها " شجرة معرفة الخير والشر " ، فبحسب التوراة لم يكن آدم يعرف الخير من الشر قبل أن يأكل من تلك الشجرة ، والتوراة هنا تشد الأنظار إلى أمور أخرى أعمق من تفسير العلماء المسلمين للشجرة التي أكل منها آدم ، والتي لم يقف القرآن على وصفها بل مر مرور الكرام . ولمعرفة شيء عن هذه الشجرة بحثت في القرآن لأقارن بين آياته - كعادتي في هذا الكتاب - وتوصلت إلى نتيجة ، وهذا بحثي ولعل النتيجة أن تلقى القبول في ذهن القارئ :

مع أن التوراة في وصفه للشجرة التي أكل منها آدم وفي وصفه لآدم وحواء نفسيهما ، قد أخذ منحى بعيداً ، إلا أنه عند التأمل في معانيه يستطيع المتأمل أن يربط بين بعض الأفكار ، فالذين سبقوا آدم لم يكونوا أهلا للتكليف مع قدرتهم على التفكير ، ولكن ما نتحدث عنه هو " الضمير " الذي يميز الأفعال الخيرة من الأفعال الشريرة ويدفع الإنسان إلى اختيار الخير على الشر.

بحسب الكتاب المقدس ، فإن آدم وحواء كانا عاريين ولكنهما لم يكونا يخجلان من هذا الأمر لأنهما لا يعرفان ما الذي يعنيه التستر ، وعندما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، أدركا أنهما عاريان فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وهذا الأمور ليست بعيدة جداً عن صيغ القرآن ، الذي وصف آدم وحواء بعد أن أكلا من الشجرة : { فبدت لهما سوءاتهما } .

لنا أن نتساءل هنا : لمَ قال الله سبحانه وتعالى " فبدت لهما " ولم يقل " بدت سوءاتهما " ؟ إذن ، فإما أن هذه السوءات كانت ظاهرة ، ولكنهما لا يريانها على أنها سوءات كما تصف التوراة ، وإما أنهما حين أكلا من الشجرة ، بدت السوءات لهما وحدهما دوناً عن غيرهما ، أي حدث تغيير ما في جسمهما ، وهو الهبوط الذي سنتحدث عنه فيما بعد وهذا أقرب إلى القبول لأن الله سبحانه وتعالى ما كان ليفضح مخلوقه المكرم وزوجه بين الملائكة

من جهة أخرى ، فإن تلك الشجرة ليست شجرة عادية كالتينة أو الحنطة أو غيرهما كما قال المفسرون ، لأن الأشجار العادية لا تنزع الملابس عن الناس عادة ، وتلك الشجرة لا يمكن أن تكون شجرة ، طيبة لأنه كيف ينهى الله سبحانه وتعالى آدم عن الأكل من شجرة مفيدة ، ثم بعد أن يخرجه من الجنة بسببها ، يأمر ذريته أن يأكلوا منها ويقسم بها في القرآن ، فتملأ الكتب من ذكر فوائدها ؟! .

لا بد أن تلك الشجرة كانت خبيثة ، حتى إن لم يكن طعمها مراً ،

لأنه في عالم الابتلاء كل شيء خبيث له طعم حلو المذاق ، إلا أنه في الآخرة سيتبين طعمه الحقيقي للإنسان الذي اغتر بطعمه في الدنيا .

فالشجرة لم تكن عادية، ونفس الشيء ينطبق على لباس آدم وحواء عليهما السلام ، ويغلب على خيالي أن هذا اللباس كان لباس الطهارة والتقوى ، فلما خالف آدم الأمر الإلهي ، انتزع عنه هذا اللباس وأصبح إنساناً عادياً ، وبدل الله سبحانه وتعالى جسم آدم عليه السلام ، فنزع عنه الثياب الربانية واجتباه ليعيش في حياة الصراع بين روح طاهرة ربانية وعقل مفكر وبين جسم حيواني صرف .

نعود إلى الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام ، فنستذكر ما قاله الله سبحانه وتعالى لآدم بخصوص هذه الشجرة :

{ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) } [البقرة] . فقد أباح الله سبحانه وتعالى لآدم أن يأكل من أي شجرة أراد ، ونهاه من شجرة واحدة ، إن هو أكل منها فسيكون من الظالمين وهذا ينطبق ذرية آدم أيضاً .

بنفس الأسلوب السابق في هذا الكتاب ، نبحث عن كلمة " شجرة " في القرآن الكريم ، وننظر أي الأشجار تجعل من يأكل منها ظالماً ، فنرى شجرة واحدة مذكورة في القرآن الكريم بوصف قريب . انظر إلى قوله تعالى :

{ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63)

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66) } [الصافات] .

ذكر العلماء أن النبي صلى الله عليه وعلى آله ، عندما ذكر شجرة الزقوم لقريش ، تساءلوا مستهزئين : كيف تنبت شجرة في النار ؟ فجعل الله ذكر هذه الشجرة فتنة لهم ، فزادهم – لاستهزائهم بذكرها وتكذيبهم للنبي – ضلالاً إلى ضلالهم . نتساءل : إن كان ذكر شجرة الزقوم يشكل فتنة — ولمرة واحدة — للظالمين ، فهل سيقول القرآن " جعلنا ذكرها فتنة " ، أم سيقول " جعلناها فتنة " ؟ الصواب عندي أن سبب نزول هذه الآيات له معنى أعمق بكثير مما ذُكر ، لأن الشجرة بذاتها فتنة للظالمين وليس ذكرها مرة في القرآن فتنة لهم .

عندما تكون تلك الشجرة فتنة للظالمين ، فلابد أن الأكل منها هو ما يُفتَتَنُ به الظالم ، لكن هذه الشجرة ليست شجرة دنيوية ، بل هي جزاء للظالمين في الدنيا ،فلابد — إذن– أن لها نظيراً في الدنيا حتى يسميها الله فتنة.

ما نعنيه من هذا الحديث ، أن الشجرة التي تقابل شجرة الزقوم في الدنيا ، هي الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام . لكن قد يتساءل أحد ، فيقول : الشجرة التي أكل منها آدم تسببت في إغوائه هو لوحده وانتهى الأمر ، ولا تستطيع تلك الشجرة أن تغوي ذريته حتى يقول تعالى { فتنة للظالمين } أي لجميع الظالمين . نقول : هذا الكلام صحيح إن كان الأكل لا يحتمل إلا

المعنى الطبيعي ، لكن الأكل يحتمل معان عدة ، فالأكل هو أن تأخذ من شيء أو من شخص ما يشبع حاجتك وشهوتك ، فالأكل من الشجرة هو الأخذ فاكهتها بما يملأ بطنك إن كانت الشجرة طبيعية ، وإن كانت الشجرة امرأة فالأكل منها يعني الزواج منها ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك قال في الذي لم يرتع منها تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها[1] " .

أما إن كانت الشجرة رجلاً ، فالأكل منها يعني الأخذ من علوم هذا الرجل ونصائحه ، فعن أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم ، وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا

(1)صحيح البخاري 5 / 1953

إمام . قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[1] " .

لا أتوقع أن الشجرة التي أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله حذيفة بن اليمان أن يعض بأصلها شجرة حقيقية ، وإنما رجل عالم مخلص غير متحيز لأي فرقة ، يلازمه حذيفة ويأخذ العلم حتى يتوفاه الله سبحانه وتعالى ، وقد سماه النبي شجرة للدلالة على ثبات الأصل ، بحيث لا تميله الأهواء .

يمكننا الآن – بعد أن ربطنا بهذا الشكل بين الأشجار والأشخاص – أن نقول : إن الشجرة التي تقابل شجرة الزقوم في الدنيا ، هي شجرة إبليس ، فهو الذي أخذ بيد آدم وزوجه ، وجعلهما يأكلان من تلك الشجرة الخبيثة . فآدم وزوجه أكلا من الشجرة الملعونة " الشيطان " ، لأنهما أطاعاه وأخذا من نصائحه ، لأن الأخذ من شخص أكل منه كما قلنا . تقول التوراة : " وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت[2] " .

فالشجرة التي أكل منها آدم هي شجرة المعصية والموت ، وهي عكس الشجرة التي في وسط الجنة " شجرة الحياة " ، وقد قام إبليس بخداع آدم وزوجه ،

---

(1)صحيح البخاري 3 / 1319 - 1320

(2)تكوين 2 :2 الآية 7

وبدل أن يذهب بهما فيطعمهما من شجرة الحياة كما وعدهما { **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى(120)**} [طه] . فقد أخذهما إلى شجرة ملعونة نهاهما الله عن الأكل منها ، و هي شجرة إبليس اللعين ، وهي نفسها التي تظهر على حقيقة بشاعتها وطعمها المرّ في جهنم ، فهي تمثيل لإبليس الذي هو فتنة للظالمين لأنهم يتبعونه فيأخذهم بيديه إلى جهنم ويطعمهم الطعم الحقيقي من شجرته ، فكما أكلوا منه في الدنيا يلعقون مرارة اتّباعه في الآخرة بالأكل من شجر الزقوم ، لذلك قال تعالى : { **أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66)** } [الصافات] . فالشيطان هو أصل الجحيم وهو فتنة للظالمين ، وطلع شجرته هم ذريته الذين يساعدونه في إغواء الناس لذلك قال " كأنه رؤوس الشياطين " ، فسبحان الله حتى الطلع يشبه أولئك الشياطين الذين اتبعهم الناس في الدنيا واتبعوهم فيأكلون منهم مجدداً .

وهنا أذكر تلك الحادثة التي حدثت مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وهو عند مرضعته حليمة ، لما جاءه الملكان ففتحا جسده واستخرجا منه علقة سوداء ، فقال النبي إنها " حظ الشيطان " وما أظن أنه أصبح في جوف كل إنسان – بالفطرة – حظ للشيطان إلا من تلك الأكلة التي أكلها آدم وحواء عليهما السلام ، فمازالت ذريته تعاني من تلك الأكلة إلى اليوم وإلى يوم

القيامة .

فإن كانت الشجرة التي تمثل الموت " الزقوم " تمثل إبليس عليه اللعنة ، فشجرة الحياة من تمثل ؟ أصبحت الإجابة عن هذا السؤال سهلا ، ولكننا سنبينه بشكل مفصل فيما بعد في الكتاب .

بهذا التنوع في جنة آدم ، يمكننا أن نستخلص شيئاً ، وهو أن تلك الجنة المؤقتة التي وضع الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام فيها ، كانت تمهيداً لتحمله عبء الخلافة من خلال توضيح الشر من الخير ، فوضعه في تطبيق عملي وبيّن له الضرر العظيم الذي سيلحقه إن هو أطاع إبليس ، فوضعه في جنة هي عبارة عن مزيج من :

- جنة الخلد التي وُعد المتقون : فشجرة الخلد أو الحياة ، التي كانت في جنة آدم ، هي نفسها الموجودة في شجرة الخلد التي وُعِد المتقون ، فقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها[1] " .

وكذلك الأنهار الأربعة التي ذكرتها التوراة ، موجودة أيضا في جنة الخلد : " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجّرت أربعة

---

(1)صحيح البخاري 3 / 1187

أنهار من الجنة : الفرات والنيل وسيحان وجيحان[1] " . كما أن بقية صفات هذه الجنة تشبه صفات جنة الخلد نسبياً ، غير أنه ليس فيها خلود ، وهو ما طمح إليه آدم عليه السلام .

- جهنم : بوجود إبليس معه في تلك الجنة ، وبوجود شجرة الزقوم فيها وهي كما نعرف شجرة تخرج في أصل الجحيم .

---

(1)مسند الإمام أحمد 2 / 261

طول آدم عليه السلام

تبقى هنا مسألة طول سيدنا آدم ، فقد ورد في الحديث أن طوله كان ستين متراً ، بينما لم يبلغ الإنسان هذا الطول ، لا في القديم ولا في الحديث ، فإما أن هذا الحديث لا يصح مع أنه وارد في البخاري ومسلم "عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك ، فقال السلام عليكم . فقالوا السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن[1] " . لأن هذا الحديث يخالف العلم مخالفة صريحة ، حتى أن مفسره (صاحب فتح الباري) يقول : " ويُشكِلُ على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة ، كديار ثمود ، فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق ، ولا شك أن عهدهم قديم ، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة ، ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال[2] " .

---

(1)صحيح البخاري 3 / 1208

(2)فتح الباري 6 / 415

وإما أن شيئاً ما حدث لآدم عليه السلام أثناء هبوطه إلى الأرض ، فلنقرأ الآية التالية مرة أخرى : { **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)** } [البقرة] .

نلاحظ هنا أن الله تعالى يكرر الأمر بالهبوط مرتين في هذه الآيات ، وفي المرتين يستعمل صيغة الجمع ، لكنه يذكر الهبوط مطلقاً في المرة الأولى " **وَقُلْنَا اهْبِطُوا** " ، بعكس الهبوط الثاني الذي يكون الجنة " **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا** " . فما هو الهبوط الأول ؟

هذا الهبوط هو هبوط في الجسم كماً وكيفاً ، من أعلى إلى أدنى ، أي من أحسن إلى حسن ، لذلك يدخل أصحاب الجنة الجنة على صورة أبيهم آدم الأولى ستون ذراعاً . ومع أننا ذكرنا سابقاَ أن المقصود بالآية الكريمة : { **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)** } [التين] . هو أن الإنسان استوى خلقه حتى ولد آدم مستويا تمام الاستواء ، إلا أنه يمكننا أن نقول أن خلق آدم عليه السلام كان يختلف عن ذلك الخلق الذي كمل استواؤه قبل آدم حتى ، فآدم خلق وطوله ستون ذراعاً وشكله أحسن من شكله بعد الهبوط ، فبعد تلك الآية ، يقول تعالى : { **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)** } . فبعد أن خلق الله

أدم عليه السلام ، وهو يمثل جنس الإنسان ، رده وذريته إلى أسفل سافلين ، بأن وضعه في جسم حيواني صرف كما قلنا سابقاً ، ثم يستدرك الله قائلا : " **إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** " . فالذين آمنوا وعملوا الصالحات سيرد الله عليهم صورتهم وقامتهم الأولى على صورة أبيهم آدم عليه السلام . وقد ذكرنا سابقاً أنه عندما أكل آدم وحواء من الشجرة " بدت لهما سوءاتهما " وقلنا أن تغييراً ما حدث في جسمهما ، وقلنا هذا هو الهبوط .

وقد جاء كلام قريب من هذا المعنى في فتح الباري حيث قال " أن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، فحطه الله إلى ستين ذراعاً فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء خلقه ، وظاهر الحديث الصحيح أنه خلق في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعاً وهو المعتمد[1] " . هذا الحديث المرفوع يجعل طوله أكبر بكثير قبل الانحطاط بحيث أصبح بعد الهبوط ستين ذراعاً ، وهو ليس صحيحاً ، لكن مع ذلك ، يوحي لنا بفكر الهبوط الخلقي لآدم وزوجه من تلك الأرض الراقية المرتفعة إلى الأرض المعدة لاختبار بني آدم .

(1) فتح الباري 7 / 423

قصة خلق الإنسان بإيجاز

خلق الله السماوات والأرض ، ثم خلق كل المخلوقات الحية من الماء الذي تحت العرش ، ثم شاء الله أن يخلق مخلوقا مميزاً ، فأخبر الملائكة أنه خالق بشراً من طين ، فإذا سوى خلقه مستقبلاً ، فلتقع الملائكة له ساجدين ، فخلق الجنس البشري الذي بدأ بسلسلة من التطور امتدت مئات الآلاف من السنين ، حتى انتهت بالإنسان العاقل . وفي تلك المرحلة ، أخبر الله سبحانه وتعالى الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة لهؤلاء الأقوام البشرية الذين يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، ويكون خليفة لله يحكم بحكمه ، فتعجبت الملائكة من هذا الأمر وقالت : كيف تستخلف على الأرض من يفسد فيها أيضاً ويسفك الدماء ، ونحن نقدسك ونعبدك لا نمل من عبادتك ، فنحن أحق بأن نكون خلفاءك على الأرض وغيرها ؟ فقال الله سبحانه وتعالى : إني أعلم مل لا تعلمون . سيكون من ذرية هذا الإنسان أعز الخلق على الله.

أمر الله جبريل عليه السلام ، فأخذ تربة من جميع الأرض ومزجها ثم زرعها في رحم بشرية ، ونفخ فيه من روحه فولد آدم عليه السلام ، ثم أذهب الله بتلك الأقوام البشرية الفاسدة فانقرضوا عن بكرة أبيهم .

ترعرع آدم في الجنة ، وكان بصورة مختلفة عن صور البشر في هذا اليوم وطوله 60 ذراعاً ، وإبليس يراقبه عن كثب ، فيدخل جوفه ويخرج ، فعلم أنه مخلوق ضعيف أمام الإغراءات والشهوات . وعندما استوى خَلق آدم وبلغ مبلغاً معيناً ، أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة مرة أخرى أن يسجدوا لآدم فسجدت جميعاً، إلا إبليس الذي كان من الجن ، وكان يظن أنه خير من ذلك المخلوق الضعيف ، فعصى أمراً مباشراً من الله عز وجل ، وظن بالله ظن السوء فاعتقد أنما فضل الله آدم عليه وعلى غيره عبثاً – حاشى لله – فغضب الله عليه ولعنه وأهبطه من مكانته ، فطلب من الله أن يمد في عمره ويسلطه على بني آدم ، فأذن الله له أن يتسلط على الظالمين منهم ، أما الصالحين فليس له عليهم سلطان ، ووعده بأن من اتبعه منهم ، فهم في النار سواء يوم القيامة .

أنشأ الله لآدم جنة على الأرض ، وأخدم له الخدم بحيث لا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، وأطلق يده في تلك الجنة وجعله مالكاً لها ، إلا شجرة واحدة منعه من الاقتراب منها وبين له أن الشيطان حاقد عليه وعلى ذريته فحذره منه .

وسوس الشيطان لآدم وزوجته ، وأقسم لهما أنه ينصحهما وأنه يريد بهما الخير، فأمرهما بالأكل من الشجرة الخبيثة ، ووعدهما إن هما أكلا منها سيخلدان في الجنة ، فأطاع آدم وزوجته الشيطان ، فأكلا من الشجرة ووقع المقدر في غيب الله ، فحدث تغيير وهبوط في جسمهما ودخل حظ الشيطان جوف الإنسان فأصبح مستعداً للمهمة التي سيوكله الله بها ، وهي مقاومة حظ

الشيطان (النفس الأمارة بالسوء) ، ومقاومة شياطين الجن والإنس ، والحكم بما سينزله الله عليه من الهدى والرحمة وعمارة الأرض .

بدت لآدم وحواء عوراتهما ، فاستحيا منها وطفقا يغطيان نفسيهما بالأوراق . عاتب الله آدم على فعلته وتاب عليه وعلى زوجه فتابا ، فاجتبا الله آدم بعد المعصية وألقى في صلبه كلمات الخير (الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين) وكلمات الشر (شياطين الإنس) ، وأهبطهما جميعاً (أي مع الذرية) إلى الأرض ، وهذا كان الهبوط الثاني بعد هبوط الجسم إلى جسم الإنسان الحالي ، ووقع ما أخبر الله الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة ، فأصبح آدم خليفة الله والجنس البشري في الأرض ، وقد حمل الأمانة طوعاً ومن تلقاء نفسه بأن نسي ما عهد الله إليه بالابتعاد عن إبليس وعدم الأكل من شجرته الخبيثة ، فأكل من الشجرة طوعاً وأصبح مسؤولاً عن تنظيف نفسه من تلك الأكلة ، ويوم القيامة تقف الأمانة والرحم على جنبي الصراط ، فمن أداها نجى ومن لم يؤدها خسر خسراناً مبيناً " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم ، فيقولون يا أبانا : استفتح لنا الجنة . فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ! لست بصاحب ذلك . اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال ، فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلا من وراء وراء . اعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليما ، فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم ، فيقول : لست بصاحب ذلك . اذهبوا

إلى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم : لست بصاحب ذلك ، فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم ، فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط ، يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق . قال : قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم . حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا . قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار . والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا[1] " . وقد خصصت الأمانة في أهل البيت عليهم السلام ، وسيأتي ذكرها في القسم الثاني إن شاء الله تعالى .

---

(1)صحيح البخاري 1 / 187

القسم الثاني

إبراهيم وأهل البيت

أهل البيت عليهم السلام

في هذا الكتاب نبحث عن مدلول أوسع مما هو متعارف عليه إلى حد ما بين المسلمين عن عبارات آتية " أهل البيت " ، " آل محمد " ، " آل إبراهيم " ، ومع هذا الاتفاق النسبي بين المسلمين إلا أن هناك اختلافاً واسعاً بين العلماء في مدلول العبارتين " أهل البيت " و " آل محمد " بين السنة أنفسهم من جهة ، وبين السنة والشيعة من جهة أخرى ، ومن منطلق أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله بوجوب محبة أهل البيت عليهم السلام ومحبة الآل ، فإنه من التقصير أن يتقاعس الباحثون عن بيان من هم أهل البيت ومن هم آل محمد وآل إبراهيم ، لذلك كان لزاماً على الباحثين أن يجهدوا أنفسهم في البحث في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية عن مدلول هذه العبارات وأن لا يملوا من إرشاد الناس إلى فضائلهم ،

من هنا ، نحاول في هذا الكتاب أن نلقي الضوء على هذه الشجرة الكريم : من هم ، ما هي فضائلهم ،ما هي خصائصهم ، مال ذي يعنينا من ذكرهم؟

نبحث أولا عن الكلمات المستعملة في القرآن الكريم ، والتي تدل على الارتباط بين الأشخاص من حيث القرابة المادية (قرابة النسب) ، والمعنوية (قرابة الدين والمذهب والطائفة و ....) ، فنجد أن القرآن

يستعمل الكلمات التالية :

" الولد، وهو عند الإطلاق ، عبارة عمن وجد من الرجل وامرأته في الإناث والذكور. وعن ولد الذكور دون الإناث لغة وشرعا ... قاله مالك في المجموعة وغيرها ... ومن حجتهم على ذلك الإجماع على أن ولد البنات لا ميراث لهم مع قوله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ } [النساء: 11]

... وقد ذهب جماعة من العلماءِ إلى أن ولد البنات من الأولاد والأعقاب يدخلون في الأحباس؛ يقول المحبس: حبست على ولدي أو على عقبي. وهذا اختيار أبي عمر بن عبدالبر وغيره ؛ واحتجوا بقول الله جل وعز: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ} [النساء: 23] . قالوا : فلما حرم الله البنات فحرمت بذلك بنت البنت بإجماع علم أنها بنت ووجب أن تدخل في حبس أبيها إذا حبس على ولده أو عقبه ...

اللفظ الثاني : البنون .... دخل فيه الذكور والإناث . قال مالك : من

تصدق على بنيه وبني بنيه فإن بناته وبنات بناته يدخلن في ذلك . روى عيسى عن ابن القاسم فيمن حبس على بناته فإن بنات بنته يدخلن في ذلك مع بنات صلبه . والذي عليه جماعة أصحابه أن ولد البنات لا يدخلون في البنين . فإن قيل: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن ابن ابنته "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". قلنا: هذا مجاز، وإنما أشار به إلى تشريفه وتقديمه ؛ ألا ترى أنه يجوز نفيه عنه فيقول الرجل في ولد بنته ليس بابني؛ ولو كان حقيقة ما جاز نفيه عنه ؛ لأن الحقائق لا تنفى عن منتسباتها. ألا ترى أنه ينتسب إلى أبيه دون أمه؛ ولذلك قيل في عبدالله بن عباس: إنه هاشمي وليس بهلالي وإن كانت أمه هلالية.

قلت: هذا الاستدلال غير صحيح، بل هو ولد على الحقيقة في اللغة لوجود معنى الولادة فيه، ولأن أهل العلم قد أجمعوا على تحريم بنت البنت من قول الله تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ } [النساء: 23] . وقال تعالى: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ } إلى قوله { مِنَ الصَّالِحِينَ } [الأنعام: 84 – 85] . فجعل عيسى من ذريته وهو ابن بنته على ما تقدم بيانه هناك .

اللفظ الثالث : الذرية ؛ وهي مأخوذة من ذرأ الله الخلق؛ فيدخل فيه ولد البنات لقوله: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ } إلى أن قال { وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى } [الأنعام: 84 – 85] . وإنما كان من ذريته من قبل أمه " ...

اللفظ الرابع: العقب؛ وهو في اللغة عبارة عن شيء بعد شيء كان من جنسه أو من غير جنسه ؛ يقال : أعقب الله بخير؛ أي جاء بعد الشدة بالرخاء. وأعقب الشيب السواد. وعقب يعقب عقوبا وعقبا، إذا جاء شيئا بعد شيء؛ ولهذا قيل لولد الرجل: عقبه. والمعقاب من النساء: التي تلد ذكرا بعد أنثى، هكذا أبدا وعقب الرجل: ولده وولد ولده الباقون بعده. والعاقبة الولد؛ قال يعقوب: في القرآن { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ } وقيل: بل الورثة كلهم عقب. والعاقبة الولد؛ ولذلك فسره مجاهد هنا. وقال ابن زيد: ها هنا هم الذرية. وقال ابن شهاب: هم الولد وولد الولد. وقيل غيره على ما تقدم عن السدي. وفي الصحاح والعقب (بكسر القاف) مؤخر القدم وهي مؤنثة. وعقب الرجل أيضا ولده وولد ولده. وفيه لغتان: عقب وعقب (بالتسكين) وهي أيضا مؤنثة، عن الأخفش. وعقب الرجل أيضا ولده وولد ولده. وعقب فلان مكان أبيه عاقبة أي خلفه؛ وهو اسم جاء بمعنى المصدر كقوله تعالى: {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة: 2] . ولا فرق عند احد من العلماء بين لفظ العقب والولد في المعنى. واختلف في الذرية والنسل فقيل انهما بمنزلة الولد والعقب؛ لا يدخل ولد البنات فيهما على مذهب مالك. وقيل: إنهم يدخلون فيهما ...

اللفظ الخامس: نسلي؛ وهو عند علمائنا كقول: ولدي وولد ولدي؛ فإنه يدخل فيه ولد البنات. ويجب أن يدخلوا؛ لأن نسل به بمعنى خرج، وولد البنات قد خرجوا منه بوجه، ولم يقترن به ما يخصه كما أقترن بقول عقبي ما

تناسلوا. وقال بعض علمائنا: إن النسل بمنزلة الولد والعقب لا يدخل فيه والد البنات؛ إلا أن يقول المحبس نسلي ونسل نسلي، كما إذا قال: عقبي وعقب عقبي، وأما إذا قال ولدي أوعقبي مفردا فلا يدخل فيه البنات.

اللفظ السادس: الآل؛ وهم الأهل؛ وهو اللفظ السابع. قال ابن القاسم: هما سواء، وهم العصبة والإخوة والبنات والعمات؛ ولا يدخل فيه الخالات. وأصل أهل الاجتماع ، يقال: مكان أهل إذا كان فيه جماعة، وذلك بالعصبة ومن دخل في القعدد من النساء والعصبة مشتقة منه وهي أخصى به. وفي حديث الإفك: يا رسول الله، أهلك ! ولا نعلم إلا خيرا؛ يعني عائشة. ولكن لا تدخل فيه الزوجة بإجماع وإن كانت أصل التأهل؛ لأن ثبوتها ليس بيقين إذ قد يتبدل ربطها وينحل بالطلاق. وقد. قال مالك: آل محمد كل تقي؛ وليس من هذا الباب. وإنما أراد أن الإيمان أخصى من القرابة فاشتملت عليه الدعوة وقصد بالرحمة. وقد قال أبو إسحاق التونسي: يدخل في لأهل كل من كان من جهة الأبوين، فوفى الاشتقاق حقه وغفل عن العرف ومطلق الاستعمال. وهذه المعاني إنما تبغى على الحقيقة أو على العرف المستعمل عند الإطلاق، فهذان لفظان.

اللفظ الثامن: قرابة، فيه أربعة أقوال: الأول: قال مالك في كتاب محمد بن عبدوس: إنهم الأقرب فالأقرب بالاجتهاد؛ ولا يدخل فيه ولد البنات ولا ولد الخالات. الثاني: يدخل فيه أقاربه من قبل أبيه وأمه؛ قال علي بن زياد.

الثالث: قال أشهب: يدخل فيه كل رحم من الرجال والنساء. الرابع: قال ابن

كنانة: يدخل فيه الأعمام والعمات والأخوال والخالات وبنات الأخت. وقد قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: { قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } [الشورى: 23] قال: إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم. وقال: لم يكن بطن من قريش إلا كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم قرابة؛ فهذا يضبطه والله أعلم.

اللفظ التاسع: العشيرة؛ ويضبطه الحديث الصحيح: إن الله تعالى لما أنزل: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: 214] دعا النبي صلى الله عليه وسلم بطون قريش وسماهم - كما تقدم ذكره - وهم العشيرة الأقربون؛ وسواهم عشيرة في الإطلاق. واللفظ يحمل على الأخص الأقرب بالاجتهاد، كما تقدم من قول علمائنا.

اللفظ العاشر: القوم؛ يحمل ذلك على الرجال خاصة من العصبة دون النساء. والقول يشمل الرجال والنساء؛ وإن كان الشاعر قد قال:

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

ولكنه أراد أن الرجل إذا دعا قومه للنصرة عنى الرجال، وإذا دعاهم للحرمة دخل فيهم الرجال والنساء؛ فتعممه الصفة وتخصصه القرينة.

اللفظ الحادي عشر: الموالي؛ قال مالك: يدخل فيه موالي أبيه وابنه مع مواليه. وقال ابن وهب: يدخل فيه أولاد مواليه. قال ابن العربي: والذي يتحصل منه أنه يدخل فيه من يرثه بالولاء[1] ".

وبعد، فهذا كان إجمالاً لما ورد في القرآن من معان للقرابة ، أوردها القرطبي في تفسيره جزاه الله عن المسلمين كل خير ، ولكن رغم ذلك نقرأ في كل كلمة اختلافاً بين العلماء ، ولا تخلو كلمة مما سبق من ذلك الاختلاف . إن ما يهمنا أن يزول عنهما الاختلاف هو كلمتا " آل " و " أهل " ، في الشرع على وجه التحديد .وللمزيد من إيضاح المعنى نستعين بما قاله الراغب الأصفهاني :"الآل مقلوب عن الأهل ، ويصغر على أُهَيل ، إلا أنه خص بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة ، يقال آل فلان ولا يقال آل الرجل ولا آل زمان كذا أو موضع كذا ولا يقال آل الخياط ، بل يضاف إلى الأشرف الأفضل ، يقال آل الله وآل السلطان . والأهل يضاف إلى الكل يقال أهل الله وأهل الخياط كما يقال أهل زمان كذا وبلد كذا . وقيل هو في الأصل اسم الشخص ويصغر أويلا ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصا ذاتيا إما بقرابة قريبة أو بموالاة ، قال عز وجل (آل إبراهيم وآل عمران) ، وقال (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . قيل : وآل النبي عليه الصلاة والسلام أقاربه ، وقيل المختصون به من حيث العلم وذلك أن أهل الدين ضربان : ضرب متخصص بالعلم المتقن والعمل المحكم ، فيقال لهم آل النبي وأمته ، وضرب يختصون بالعلم على سبيل التقليد ويقال لهم أمة محمد

---

(1) تفسير القرطبي 16 \ 78 – 79 – 80 – 81 – 82

عليه الصلاة والسلام ، ولا يقال لهم آله ، فكل آل للنبي أمة وليس كل أمة له آله . وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه : الناس يقولون المسلمون كلهم آل النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال كذبوا وصدقوا ، فقيل له ما معنى ذلك ؟ فقال : كذبوا في أن الأمة كافتهم آله ، وصدقوا في أنهم إذا قاموا بشرائط شريعته آله . وقوله تعالى (رجل مؤمن من آل فرعون) ، أي من المختصين به وبشريعته وجعله منهم من حيث النسب أو المسكن ، لا من حيث تقدير القوم أنه على شريعتم[1] " .

" أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد ، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ، ثم تُجُوِز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب ، وتعُورف في أسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت ، لقوله عز وجل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وعبر بأهل الرجل عن امرأته . وأهل الإسلام الذين يجمعهم ولما كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى : (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) وقال تعالى : (وأهلك إلا من سبق عليه القول) [2] " .

---

(1)مفردات الراغب ص 30 – 31

(2)مفردات الراغب ص 29

هذا ما ذكره بعض العلماء ، ويحمل آراء كثيرة ونحن هنا سنحاول أن نتوصل إلى صيغة ثابتة تكون أقرب إلى المدلول القرآني ، وسنعتمد أسلوب المقارنة كما يلي :

(**آل**) : يقول عز وجل في ذكر نجاة بيت لوط من العذاب : { **قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60)** } [الحجر] .

هنا ذكر الله عز وجل أهل بيت لوط عليه السلام فاستعمل كلمة (آل) للدلالة على الزوجة والأولاد ، ثم استثنى الزوجة الكافرة للدلالة على أن الآل هنا هم المؤمنون والكافرون من أهل بيت لوط ، فكلمة (آل) هنا تدل على القرابة المادية .

ثم ذكر تعالى في آية أخرى :

{ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34)** } [القمر] . في هذه الآية ، ذكر تعالى نفس القصة لكنه لم يستثن امرأة لوط ، للدلالة على أن كلمة (آل) تدل على المؤمنين فقط من أهل بيت لوط . إذن ، فهنا استعملت للدلالة على القرابة الدينية دون المادية .

أما بالنسبة لـ (آل فرعون) ، يقول تعالى :

{ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)** } [غافر] . الآية هنا تقصد بـ (آل فرعون) فرعون وهامان وجنودهما ، أي أتباع فرعون الذين يطيعونه من قومه .

يقول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى : { **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28)** } [غافر] . يذكر الله في هذه الآية رجلاً مؤمنا من المصريين من قوم فرعون مستعملاً كلمة (آل) أيضاً ، فهل هو من الداخلين في النار حسب الآية التي سبقتها ؟ بالطبع لا ، ولكن آل فرعون الذين قصدهم الله تعالى غير الآل الذين يقصدهم ههنا ، فهنا الآل هم القوم جميعا كافرهم ومؤمنهم ، أما الذين يعرضون على النار فهم المجرمون ممن اتبعوا فرعون ، وفيهم من هو من بني إسرائيل أيضاً ، يقول تعالى : { **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)** } [القصص] . وقارون هذا من آل فرعون ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : { **كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)** } [آل عمران] ، وقارون كان ممن كذب بآيات الله فأخذه الله بذنبه ، ويؤكد هذا الأمر ما ورد في الآية

الكريمة من سورة الأنفال : { **كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54)** } .

ف (آل فرعون) ليس كلهم غرق في اليم ، بل منهم من أهلكه الله قبل ذلك كقارون . وفي الأية الكريمة : { **فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)** } [القصص] . ذكر الله عز وجل قصة التقاط موسى عليه السلام من قبل زوجة فرعون المؤمنة "آسية" وجواريها ، فسماهم أيضاً (آل فرعون) .

وهكذا نلاحظ أن القرآن استخدم كلمة (آل) بمفهوم عام وللدلالة على :

أولا : على القرابة الدينية ، فكل تابع لرجل سواء أكان من قومه أو من ذريته أو حتى من لا تجمعه معه أية قرابة ، فهو من آله .

ثانيا : على قرابة النسب ، أي الذرية .

باعتماد نفس الأسلوب مع كلمة " أهل " ، نلاحظ أنها تستعمل أيضا للدلالة على قرابة النسب مرة ، ومرة أخرى للدلالة على القرابة الدينية :

{ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) } [هود] .

{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آَمَنَ وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) } [هود] .

{ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) } [هود] .

{ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) }[الأنبياء] .

فمرة يستثني الله عز وجل المرأة الكافرة من الأهل ، ومرة يذكر نجاة الأهل مطلقاً ، فلا تعتبر المرأة من الأهل أصلا ، ومرة يقول الله لنوح إن ابنه ليس من أهله . وهذا مماثل لاستعمال (آل) ، إلا أنه هناك فوارق جوهرية ، منها أن كلمة أهل لا تستعمل لغير القرابة مطلقاً بالنسبة للإضافة إلى شخص :

{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آَمَنَ وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) }

[هود] . فبالإضافة إلى الأهل ذكر تعالى الذين آمنوا بعكس الآل التي تجمع الكل تحت مظلة الدين الواحد ، وهذا هو الاختلاف الجوهري الذي يجعل القرآن لا يستعمل كلمة (أهل) في آيات الاصطفاء ، لأن المصطفين عند الله تعالى ليس لهم شجرة نسب متصلة كما يفهم البعض فيحاول أن يؤول آيات القرآن حسب فهمه ، كالذين جعلوا (آزر) عماً لإبراهيم عليه السلام ، الذي يؤكد القرآن مراراً أنه أبوه بحجة أن العم يقال له أب .

(آل) و(بنون) :

الآن نأتي للمقارنة بين كلمتي " آل " و " بنون " ، ونبدأ من إبراهيم عليه السلام ، يقول تعالى :

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) } [إبراهيم] . وهذا مثل ما جاء في الآية : **{ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) }**[البقرة] . ومثله أيضاً : **{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) }**[البقرة] .

ما جاء في هذه الآيات هو الآتي : اختبر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام ، فعَلِمَهُ مخلصاً صافياً من الشرك ، فأثابه بأن جعله إماما للناس :

{ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)** } [البقرة] . فكل مسلم يتوجب عليه أن يصلي خلف مقام إبراهيم ليأتم به ، فهو قدوة المسلمين في كل زمان ومكان ، حتى أنه قدوة للنبي عليه الصلاة والسلام وعلى آله : { **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)** } [التوبة] . يقول الله تعالى للنبي وأصحابه لا تفهموا استغفار إبراهيم لأبيه آزر أنه يجوز الاستغفار للمشركين حتى لو كانوا ذوي قربى فتقتدوا به وتستغفروا لذوي أرحامكم من المشركين ، لأن إبراهيم لم يكن يعلم أن أباه عدو لله . وهذا دليل اقتداء النبي بأبيه إبراهيم .

بعد أن جعل الله خليله إبراهيم إماما للناس ، سأل إبراهيم من ربه أن يعهد بالإمامة لذريته أيضاً من بعده ، فأخبره الله سبحانه وتعالى أن الإمامة ستكون للصالحين فقط من ذريته (بنيه) . والذي يهمنا مما سبق أن نعرف ما هو الفرق بين الآل والبنين ، فإبراهيم أب لكل مسلم { ملة أبيكم إبراهيم } . لكن ، هل المسلمون من بني إبراهيم ؟ فإن قلت : لا ، المسلمون ليسوا من

بني إبراهيم ما عدا قريش ، فإذن المسلمون من آله لأنهم على ملته . وإن قلت : المسلمون من آل إبراهيم ، فكيف يدعو المسلمون في صلواتهم أن يصلي الله على آل محمد كما صلى على آل إبراهيم ؟ فهل عامة المسلمين خير من آل محمد ؟! إلى الآن ، هذه أمور مبهمة ، لكن في الصفحات القادمة ستتبين هذه الأمور تباعاً .

بالنسبة للذرية فيدخل فيها الأبناء والبنات كما ذكر العلماء ، لكن ههنا أمر هام لابد من بيانه ، وهو أن كلمة (ذرية) ترد في آيتين كريمتين ، فتحمل فيهما معنىً غريباً .

الآية الأولى :

{ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77)** } [الصافات] . ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن الجنس البشري انقرض بعد الطوفان ، وحتى الذين حُمِلوا في السفينة مع نوح عليه السلام انقطع نسلهم ، فلم تنج إلا ذرية نوح . لكن الله تعالى يبين في آيات أخرى أن الذين نَجَوا مع نوح في السفينة "بارك" الله عليهم : { **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48)** } [هود] . والبركة – كما نعلم – تعني الدوام كما قال في آية أخرى : { **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73)** } [يونس] . فأمم ممن مع نوح ستواصل حياتها وسيكون

منها أنبياء لأن البركة تعني النبوة أيضا : { **وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)** } [الصافات] . فبركة إبراهيم وإسحاق كانت بأن جعل الله في ذريتهما أنبياء ، وكذلك نوح : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26)** } [الحديد] .

فإن قلت : المقصود بالذين مع نوح هم أهله فقط . أقول : انظر إلى قوله تعالى : { **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)** } [هود] . فإضافة إلى الأهل ، كان هناك قليل من المؤمنين مع نوح عليه السلام من غير أهله ، لكن الآية السابقة تقول : { **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ** } . هذا يقود إلى أمر واحد ، وهو أن الذرية تحتمل معنى القرابة الدينية أيضاً ، فنوح هو أب روحي لكل من كان في السفينة .

الآية الثانية :

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ

وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) } [الأنعام] .

تذكر الآيات إبراهيم ونوحاً عليهما السلام ، ثم تذكر ذرية اختلف المفسرون على أي منهما تعود . فإن كانت الذرية تعود إلى نوح ، فكيف ذلك وفيها يوسف عليه السلام وهو ابن حفيد إبراهيم عليه السلام ، أفليس يوسف عليه السلام أولى بأن يكون من ذرية إبراهيم . وإن عادت الذرية إلى إبراهيم عليه السلام ، فهل لوط من ذريته؟ فإن كانت الذرية بمعناها الذي قلنا (بالمعنى الديني) ، فإبراهيم فعلا هو أب روحي لكل من سبق في الآيات السابقة .

هناك احتمال آخر ، وهو أن كلمة " ذرية " قد تدل أيضاً على جماعة من القوم ، أي الذين هم على دين واحد من القوم :

{ **فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)** } [يونس] . هذه الآية تذكر الذين آمنوا من بني إسرائيل من قوم موسى ، فسماهم " ذرية " أي جماعة من قومه ، إذ لم تؤمن لموسى ذرية معينة بل أناس من ولد كل سبط . أما العقب والنسل فلا تحتملان إلا المعنى المادي . فالكلمتان اللتان تستعملان – إذن – لغير الأولاد وتجعلهم بمنزلة الأولاد هي كلمتا " آل " و " ذرية " وهما المستعملتان في آية الاصطفاء .

آل إبراهيم

بعد أن خلصنا إلى أن (آل) تحتمل الأبناء وغيرهم ، فإن آل إبراهيم هم جميع من كانوا على دين إبراهيم من بنيه وغيرهم . لكن – مع ذلك – لابد أن نحدد من هم آل إبراهيم :

الأنبياء : وهم من خالص أبنائه .

الصديقون والشهداء والصالحون : من أبنائه وغيرهم .

يبقى هنا أن نذكر هذا التفصيل المهم وهو أن أبناء إبراهيم عليه السلام من الأنبياء هم الأئمة الذين عهد الله إليهم بالإمامة بعد أبيهم .

هل يعقوب عليه السلام هو إسرائيل ؟

من المسائل المثيرة للجدل في القرآن الكريم ، ذكره ليعقوب عليه السلام مستخدما اسمين هما (يعقوب وإسرائيل) ، فهل يعقوب عليه السلام هو نفسه إسرائيل ؟

بالإضافة إلى ذكر اسمين ليعقوب عليه السلام ، استعمل القرآن الكريم صيغتين للتعبير عن أبنائه أيضاً ، فمرة يذكرهم بـ (آل يعقوب) ، ومرة بـ (بني إسرائيل) ، والغريب أن هاتين الصيغتين ثابتتان ، فلا يوجد (بني يعقوب) ، أو (آل إسرائيل) في القرآن الكريم .

(آل يعقوب) :

أتى القرآن الكريم على ذكر " آل يعقوب" في موضعين من القرآن الكريم :
{ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) } [يوسف] .
{كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) } [مريم] .

في هاتين الآيتين تدل لفظة (آل) على معنيين اثنين ، فهي في الآية الأولى تدل على إخوة يوسف (أبناء يعقوب) ، وفي الثانية تدل على ذرية يعقوب عليه السلام من الصالحين . والملاحظ هنا أن الله تعالى ذكر يعقوب

وبنيه بصيغتين : مرة بـ " آل يعقوب " ومرة بـ " بني إسرائيل " فإن كان يعقوب هو إسرائيل ، فما الجدوى من استعمال صيغتين مختلفتين ؟

تذكر التوراة قصة تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل فتقول : " [24] فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. [25] وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. [26] وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». [27] فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». [28] فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». [29] وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ[(1)] ". وهذه القصة لا يُؤخَذ منها شيء لأنها – كما تبدو – أحداثها مختلقة أو محرفة من قصة أخرى ، إلا أننا يمكن أن نفهم من هذه الحادثة الموجودة في التوراة أن اسم يعقوب تحول إلى إسرائيل في مرحلة ما في حياته . نبحث في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة عن هذا التحول لعلنا نتوصل إلى شيء ما .

أول ما نلقاه في هذا الصدد ، هو قصة قريبة مما ذكر في التوراة لكن الذي صارع يعقوب هنا ملك ولا يُذكَر تغيير اسم يعقوب ، فقد ذكر القرطبي

---

(1)تكوين 32

في تفسيره : " وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي : أقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو، وكان رجلاً بطشاً قوياً ، فلقيه مَلَك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه، فغمز الملك فخذ يعقوب عليه السلام، ثم صعد الملك إلى السماء ويعقوب ينظر إليه فهاج عليه عرق النسا، ولقي من ذلك بلاءً شديداً، فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء أي صياح، فحلف يعقوب عليه السلام إن شفاه الله جل وعز ألا يأكل عرقاً ، ولا يأكل طعاما فيه عرق فحرمها على نفسه؛ فجعل بنوه يتبعون بعد ذلك العروق فيخرجونها من اللحم. وكان سبب غمز الملك ليعقوب أنه كان نذر إن وهب الله له اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح آخرهم . فكان ذلك للمخرج من نذره[1] " .

إن ما يلفت في تلك القصة – إن كانت صحيحة – أنها تبين السبب في تحريم يعقوب العرق على نفسه في قوله تعالى : { **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)** } [آل عمران] . فالتوراة تذكر مصارعة تغير على إثرها اسم يعقوب ، أما القرآن لا يذكر سبب تغيّر الاسم ، لكن يذكر حادثة تحريم إسرائيل لطعام معين على نفسه ، فيأتي

---

(1) تفسير القرطبي 4 / 134 - 135

المفسرون ليذكروا سبب هذه الحادثة فيقولون بأن سببها كان مصارعة ! . مهما كان من أمر ، فالرابط بين القصتين لايزال ضعيفاً ، كون المفسرين لا يذكرون من أين أتوا بتلك القصة ، ولا يعتمد على قصة التوراة كما سبق وقلنا .

إن أردنا أن نبحث في القرآن عن تحول اسم يعقوب إلى إسرائيل ، يجب أن نبدأ أول ذكر ليعقوب عليه السلام (البشارة بيعقوب) : { **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84)** } [الأنعام] .

{ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71)** } [هود] . وهذه البشارة تستلزم اسماً يدل على التكريم ، ولا يعقل أن يبشر إبراهيم عليه السلام بنبي سيتغير اسمه باسم أفضل ، فمن الطبيعي أن يبشر بأحسن الأسماء : { **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7)** } [مريم] . ومع ذلك ، نبحث عن فترات حياة يعقوب لعلنا نجد الفترة التي تغير فيها اسمه عليه السلام ، والتي تحملها سورة يوسف ، فنلاحظ أنه لم يذكر إلا اسم يعقوب . بعد ذلك نبحث عن اسم يعقوب قبل موته مباشرة فنجد : { **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**

وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) } [البقرة] . فأين اسم إسرائيل من كل هذا ؟

هذا يدفع بنا إلى الظن بأن يعقوب عليه السلام ليس إسرائيل المذكور في القرآن ، ولكن لابد من التأكد من ذلك ، فننتقل إلى ذكر أبناء يعقوب عليه السلام ، هل هم بنو إسرائيل أم آل يعقوب ؟

يقول تعالى : { **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آَيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7)** } [يوسف] . { **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)** } [مريم] . لِمَ لمْ يجعل الله يوسف وإخوته من بني إسرائيل ؟ أليسوا أحق الناس أن يسموا ببني إسرائيل وهم أبناؤه المباشرون ؟ خصوصا وأن الله سبحانه وتعالى يذكر أبناء يعقوب بأسماء مثل " يوسف وإخوته " " آل يعقوب "،فهل لذرية يعقوب أيضا أسمان أو أكثر ؟.

هناك صيغة أخرى بالإضافة إلى الصيغتين السابقتين ، يعتقد أنها تدل على أبناء يعقوب (يوسف وإخوته) ، وهي كلمة " أسباط " ، والأسباط هم اثنا عشر رجلاً ، جعل الله كل رجل منهم قبيلة لذلك سموا أسباطاً . الاعتقاد السابق في أنهم إخوة يوسف عليه السلام مبني على القرب بينهم وبين يعقوب

، لتعاقب ذكرهم بعد ذكره . من جهة أخرى ، سميت قبائل بني إسرائيل "أسباطاً" أيضاً ، ما يوحي أن الأسباط هم إخوة يوسف ، يقول تعالى : { **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)** } [البقرة] . حسب ترتيب الأنبياء المذكورين ، يجب أن يكون الأسباط أبناء يعقوب عليه السلام الذين تفرعت عنهم قبائل بني إسرائيل : { **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160)** } [الأعراف] . فهل هؤلاء الأسباط هم حقاً يوسف وإخوته ؟

بداية ، إخوة يوسف - كما ذكرهم القرآن — ليسوا أنبياء ، فلا القرآن ذكر نبوتهم ، ولا أفعالهم المذكورة في سورة يوسف تدل على أخلاق الأنبياء . فقد كانوا حاقدين على يوسف وأخيه ، فوضعوه في البئر وكذبوا على أبيهم أربعين سنة حتى ابيضت عيناه من الحزن ، ثم كشف الله أمرهم فطلبوا من يوسف ويعقوب أن يستغفرا لذنوبهم ، وذلك بعد أن أصبح عمر يوسف أربعين عاماً أو يزيد ، مع العلم أن يوسف وأخوه كانا أصغر أبناء يعقوب ،

فعمرهم كان قد تجاوز الأربعين ولم يتوبوا بعد ، ما يدل على أنهم لم يكونوا أنبياء ، بعكس ما يدعي بعض المفسرين .

فالأسباط ليسوا أبناء يعقوب ، وكون الأسباط من آباء بني إسرائيل لا يدل على أن الأسباط هم أبناء يعقوب ، لا بل لا يدل حتى على أنهم من أبناء إسرائيل نفسه . فإذن ، لا دليل على أن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل المذكور في القرآن ، وإنما نستطيع أن نقول أن إسرائيل رجل صالح أو نبيٌّ من ذرية إبراهيم عليه السلام .

هل إبراهيم وإسرائيل من ذرية نوح؟

في خضم البحث عن أصول أهل البيت ، نبحث عن أصل إبراهيم الخليل عليه السلام من حيث اتصاله نسبه بنسب نوح ، وقد وصلنا فيما سبق إلى أنه كان هناك مؤمنون ركبوا السفينة مع نوح عليه السلام ، وأن نسلهم لم ينقطع كما هو شائع .فما العلاقة بينهم وبين إبراهيم وإسرائيل؟

يقول الله سبحانه وتعالى ، مذكراً بني إسرائيل بأبيهم الذي كان رجلاً صالحاً ، وذلك ليقتدوا به فلا يشركوا بالله شيئاً : { **وَآَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)** } [الإسراء] . فمع أن المفسرين

يرجعون الهاء في (إنه) إلى نوح عليه السلام إلا أن سياق الآية يتحدث لبني إسرائيل عن أبيهم ، فيجب أن يصف الأب لا أن يصف نوحاً عليه السلام ، فالأب ذلك العبد الشكور يجب أن تتخذه بنو إسرائيل قدوة . ونقول هو أب مشترك لإبراهيم وإسرائيل لأن الله تعالى يقول : { **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84)** } [الأنعام] .

وهي ذرية مشتركة بين إبراهيم وإسرائيل عليهما السلام .

. فإن قيل : المقصود بالذين حملهم الله مع نوح هم أبناؤه وأصهاره . نقول : انظر إلى قوله تعالى في الآيات التالية :

{ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آَمَنَ وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)** } [هود] .

{ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)** } [الأعراف] .

{ **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28)** } [المؤمنون] .

{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) } [هود] .

{ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119))) [الشعراء] .

{ فكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) } [يونس] .

{ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) } [هود] .

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58) } [مريم] .

نلاحظ في هذه الآيات أن كل آية منها أعطت صفة للذين حملوا مع نوح عليه السلام ، فالآية الأولى تبين أن الله نجاهم من القوم الظالمين والآية الثانية والثالثة والرابعة تبين أن الذين معه كانوا من المؤمنين ، والآية الخامسة تبين أن الله سبحانه استخلفهم والآية السادسة تبين أن الله بارك عليهم والآية

السابعة تبين أن الله سبحانه جعل نبوة في نسلهم . هذه الصفات عامة في الذين كانوا مع نوح عليه السلام وقد فرق الله بين أهل نوح وبين من حمل معه من المؤمنين في الآية الرابعة : { **قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آَمَنَ وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ** } . ما يدل على أن هؤلاء المؤمنين لم يكونوا من أهله . وسيأتي مزيد من الإيضاح حول أصول إبراهيم عليه السلام وأنه ليس سامياً في الصفحات القادمة من الكتاب .

إسماعيل عليه السلام

يتفق المسلمون على أن إسماعيل عليه السلام هو الابن البكر لإبراهيم عليه السلام ، لكن ما يثير الإشكال حول هذه الشخصية ، هو أن القرآن الكريم لم يذكره مع إبراهيم وذريته ، إلا وأُخِّر عنهم بشكل مكرر ، بحيث يثير الشكوك حول كونه من ذرية إبراهيم عليه السلام .

يقول تعالى : { **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ**

الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) } [الأنعام] .

{ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)** } [مريم] .

نلاحظ في الآيات السابقة أن إسماعيل عليه السلام لا يُذكَر مع أخيه إسحاق وابن أخيه يعقوب ، مع أنه من المفروض أنه أكبرهم ، وإنما يُذكَر لوحده في آية مستقلة ، أفليس هذا غريبا ؟ أليس من المفروض أن الله وهب لإبراهيم إسماعيل وإسحاق { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)** } [إبراهيم] .

هذه الآية الآنفة الذكر هي الآية الوحيدة التي تربط بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من حيث القرابة كأب وابن ، ولكنها لا تحدد شيئاً ، لأن الهبة في القرآن لا تعني بالضرورة هبة الابن ، يقول تعالى :

{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) } [مريم] . فالهبة تكون إذن بالأبناء وغيرهم ممن يساعد في نشر الدين ، كهارون بالنسبة لموسى عليه السلام وهو أخوه وليس ابنه . لكن قد يقول قائل : لكن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح ، فكيف يمكن ألا يكون ابناً لإبراهيم عليه السلام ؟

إن هذه المسألة مختلف عليها بين العلماء ، والذي نعتقده أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليهما السلام ، انظر إلى قوله تعالى :

{ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) } [مريم] .

هذه الآية تتحدث عن إبراهيم عليه السلام ، وتبين ما يلي : عندما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه لأنهم لم يؤمنوا بإلهه ، قال رب هب لي من الصالحين . تقول الآية " وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً " . أي ، بعد اعتزال إبراهيم عليه السلام لقومه ودعوته لله عز وجل ، كان أول مولود له ولد بعد هذا الدعاء إسحاق عليه السلام ! .

يقول تعالى بعد هاتين الآيتين : { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا

(52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) } [مريم] . انظر كيف فرقت الآيات بين إبراهيم وذريته وبين إسماعيل عليه السلام ، حتى أن ذكر إسماعيل لم يأت مباشرة بل وضع الله ذكر موسى عليه السلام بينهما . وبنفس الطريقة والأسلوب يقول تعالى :

{ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77) وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ**

إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85) } [الأنبياء] . لابد أنك لاحظت –أخي القارئ – كم بين إبراهيم وذريته وبين إسماعيل عليهم السلام ، وهذه الآيات تتحدث أيضاً ، بطريقة مشابهة أن اللذين وُهِبا لإبراهيم عليه السلام هما إسحاق ويعقوب ولا ذكر لإسماعيل بتاتاً ، وإنما يأتي ذكره لاحقاً مع أنبياء لا يمتون لإبراهيم عليه السلام بصلة .

لك أن تنظر ألأيضا : { **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48)** } [ص] . فإن قال قائل : فما الذي تعنيه الآيات التالية :

{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ

(103) **وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)** } [الصافات]

. ففي هذه الآيات يذكر تعالى مرة أخرى أن إبراهيم لما اعتزل قومه ودعا ربه أن يهب له من الصالحين ، بشره الله سبحانه وتعالى بغلام حليم ، ولم يذكر اسم الغلام وإنما ذكر صفة له ، وهي أنه غلام حليم . لكننا – من الآيات السابقة – نعلم أن الذي بُشِّر به هو إسحاق ، ولا ذكر لإسماعيل عليه السلام في تلك الآيات كلها ، فكيف يصبح إسماعيل فجأة هو المقصود في هذه الآيات ؟ فإن قيل : لأن إسحاق ذكر بعد ذلك ، نقول : فلنقرأ بتأمل : ابتلى الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فاستسلما لأمر الله ، فكافأ الله إبراهيم بأن جعله للناس إماماً ، وكافأ إسماعيل بأن بشر إبراهيم بإسحاق نبياً ، وبارك عليه وعلى إسحاق ! هل هذا التسلسل سليم ، أم أن هناك علة ؟

بالطبع هناك علة ، لأن من ابتلي يجب أن يكافأ ، وبما أن إبراهيم وإسحاق هما اللذان بارك الله عليهما فيجب أن يكونا هما المبتلين ، ولا دخل لإسماعيل في هذه القصة ، وذكر نبوة إسحاق تعني مكافأة الله له على الابتلاء وجعاه نبياً ، ولا تعني ولادته .

من خلال الآيات السابقة ، نرى أن إبراهيم عليه السلام لما اعتزل قومه سأل ذرية صالحة ، فوهب الله له إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، ووهب له إسماعيل نبياً مساعداً له في بناء البيت الحرام . وهناك أدلة أخرى ، منها ما ورد في التوراة من أن الله قال لإبراهيم عليه السلام " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق " وأن إبراهيم حرم إسماعيل من كل شيء وأعطى كل ما يملك لإسحاق "[34]فَقَالَ: «أَنَا عَبْدُ إِبْرَاهِيمَ، [35]وَالرَّبُّ قَدْ بَارَكَ مَوْلاَيَ جِدًّا فَصَارَ عَظِيمًا، وَأَعْطَاهُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَفِضَّةً وَذَهَبًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَجِمَالاً وَحَمِيرًا. [36]وَوَلَدَتْ سَارَةُ امْرَأَةُ سَيِّدِي ابْنًا لِسَيِّدِي بَعْدَ مَا شَاخَتْ، فَقَدْ أَعْطَاهُ كُلَّ مَا له[(1)] . ومنها أن إبراهيم وصّى كبير عبيده أن يذهب إلى حرّان ليأتي لإسحاق بزوجة من عشيرته ، بينما زوّجت أم إسماعيل ابنها من مصرية ! فلِمَ لمْ يهتم إبراهيم بزواج ابنه إسماعيل ، كما اهتم بزواج إسحاق وهو خليل الرحمن؟

من الأدلة أيضاً ، ما ورد في التوراة من البشارة بإسحاق وتغيير اسم أبرام إلى إبراهيم وجعله أباً لجمهور من الناس ، وكان إسماعيل قد ولد قبل ذلك "[1]وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، [2]فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا». [3]فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً: [4]«أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، [5]فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ

---

(1)تكوين : 24

يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. [6]وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. [7]وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ.
[8]وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ(1) " .

ومنها ما ورد من تفضيل بني إسرائيل على العالمين ، فلو كان إسماعيل من ذرية إبراهيم لشمل هذا التفضيل ذريته ، ولكننا لا نرى شيئاً من هذا في القرآن الكريم ، بل نرى مراراً وتكراراً تفضيل بني إسرائيل الذين هم ذرية إبراهيم الخليل ، وقد فضل الله آل إبراهيم على العالمين { **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)** } [آل عمران] . مع العلم أن تفضيلهم كان بكثرة الأنبياء فيهم . ومنها ما ورد في الآية : { **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55)** } [النساء] . الناس في هذه الآية هم محمد وقومه باتفاق العلماء ، والذين يحسدون الناس هم اليهود ، فيكون تفسير الآية كالتالي : أم يحسد أولئك اليهود محمداً وقومه على ما آتاهم الله

---

(1)تكوين : 17

من نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وتفضيل الله لأمته ، كيف يحسدون الناس على نعمة النبوة وهم الذين كانوا يكذبون الأنبياء الذين بعثوا فيهم وهم منهم ، فلمْ يكونوا يتباهون بهذا التفضيل الذي مُنِحوه بل كانوا يعملون على التخلص منه ؟ ما نستشفه من هذه الآية هو ما يلي : 1- استعمال كلمة " الناس " للدلالة على محمد وقومه .2- استعمال " آل إبراهيم " للدلالة على أنبياء بني إسرائيل . فلو كان النبي من ذرية إبراهيم لكان هو أيضا من آل إبراهيم (بمعنى ذريته هنا) ولكان قومه كبني إسرائيل قد فضلوا على العالمين ببعثة هذا النبي .

ونحن في كل صلاة ندعو الله أن يمنّ على محمد كما من على إبراهيم وأن يمن على آل محمد كما من على آل إبراهيم ، فلو كان محمد من آل إبراهيم لما احتاج إلى هذا الدعاء ، لا هو ولا آله ، لأنهما من المفضلين على العالمين قي آية الاصطقاء السابقة .

يبقى قوله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)** } [إبراهيم] . في هذه الآيات مسائل :

الأولى أن إبراهيم أسكن من ذريته بواد غير ذي زرع ، والذرية كما قدمنا في هذا الكتاب قد لا تعني الأبناء لوحدهم ، وخصوصا بالنسبة لإبراهيم عليه السلام فهو أب لكل مؤمن ولنعد إلى الآية : { **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86)** } [الأنعام] . فإن كانت الذرية المقصودة هي ذرية إبراهيم ، فإن فيها لوطاً وهو ليس من ذريته وإنما كان ابن أخيه ، فجاز أن يقال لكل مؤمن " ذرية إبراهيم " . وإن كانت الذرية المقصود ذرية نوح ، فلِمَ – إذن — ذكر إسماعيل عليه السلام في ذرية نوح وهو من أبناء إبراهيم ولم يذكر مع إسحاق ويعقوب ؟ فاعتبر لذلك .

الثانية أن إبراهيم قال رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ، وهذا الدعاء يدل على أمرين : الأول ، أن الدعاء للمستقبل لأن مكة لم تكن بلداً عندما دعا إبراهيم هذا الدعاء ، لذلك فالبنين الذين يتكلم عنهم إبراهيم عليه السلام هم أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله ، لأن الذين سبقوا النبي الكريم عبدوا الأصنام إلا من شاء الله ، وأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله ليست قومه بل كل مسلم على وجه الأرض ، فمادمنا مسلمين فنحن من أبناء إبراهيم عليه السلام ، يقول تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) وَجَاهِدُوا فِي**

اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) } [الحج] .

الذين آمنوا من أمة النبي عليه السلام ليسوا من ذرية إبراهيم حقيقة وإنما مجازاً ، أي في الدين ، وتسمية المسلمين آتية من الآيات : { **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)**} [البقرة] . فالأمة الإسلامية بمختلف أعراقها ذرية إبراهيم وإسماعيل ، لكن عندما يأتي الكلام على الذرية الحقيقية لإبراهيم تتحول الآيات لتتحدث عن بني إسرائيل . أما بالنسبة للأحاديث فتبقى دلالتها ظنية ولا تثبت شيئاً ، حتى إن بينَّتْ أن إسماعيل ابن لإبراهيم عليه السلام . وسيأتي

لاحقا بيان من هم أهل البيت عليهم السلام وسيتبين هناك أيضا أن إسماعيل ليس من أبناء إبراهيم عليه السلام .

آل محمد

بعد أن انتهينا إلى أن آل إبراهيم ، بمعنى ذريته التي من صلبه تشتمل على إسحاق ويعقوب وذريتهما من الأنبياء والصالحين ، وبمعنى تابعيه على دينه من المؤمنين المخلصين ، نأتي الآن إلى ذكر آل محمد صلى الله عليه وعلى آله ، فنقول هم أيضا ينقسمون إلى آله الذين من صلبه ، معهم علي كرم الله وجهه ، أي علي وفاطمة ، والحسن والحسين وذريتهما ، وإلى آله من المؤمنين المخلصين على دينه ، وهذا التقسيم لا يأتي من فراغ وإنما يأتي من فهمنا للصلوات الإبراهيمية (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى إل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) . واستشفينا من هذه الصلوات أن إسماعيل ليس من آل إبراهيم حتى تم الفصل بين آل محمد وآل إبراهيم ، هذا أولا . أما ثانياً : الصلاة على الآل ، فآل إبراهيم عليه السلام من صلبه أئمة ونحن ندعو لآل محمد أن يكونوا أئمة كما كان أنبياء بني إسرائيل ، بما أن النبوة انتهت بموت النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وبتعليم الله لنا أن ندعو لآل النبي بيّن لنا أنه يريد أن يفتح المجال أمامهم ليرتقوا إلى مقامات الأنبياء كما قال النبي لعلي بن أبي طالب : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي " والنبي هو الذي ينبأ بخبر السماء ، ولم يكن

ذلك لعلي أما المقام الذي للنبي هارون فهو لعلي أيضاً ، وبقدر ما كان هارون عليه السلام في غياب موسى إماماً لبني إسرائيل فعلي عليه السلام إمام للمؤمنين بغياب النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وسيأتي الحديث عن علي مستوفىً فيما بعد إن شاء الله . والآل الذين هم أتباع محمد صلى الله عليه وعلى آله من غير ذريته ندعو أن يكونوا كأتباع إبراهيم عند الله إما لتشريف الله لإبراهيم وإما لأنهم كانوا قلة فكانوا كرماء على الله . والآن تتساءل : كيف قسمت آل محمد على هذا الأساس ؟

تتوزع آراء علماء المسلمين حول آل محمد عليهم السلام إلى :

رأي يقول بأن آل النبي قرابته من بني هاشم وغيرهم من قريش .

رأي يقول بأن آل النبي هم أزواجه خاصة لأنه لم يكن لم يعش له ولد .

رأي يقول بأن آل النبي هم الذين حرموا الصدقة من بعده وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس .

رأي يقول بأن آل النبي هم أهل الكساء أي علي وفاطمة والحسن والحسين فقط .

رأي يقول بأن آل النبي هم أزواجه وأهل الكساء .

هذه الآراء تستند على المعنى اللغوي لكلمة " آل " ، وعلى روايات حديث الكساء : " عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة : خرج النبي

صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) "[1] .

"عن عمر بن أبي سلمة ، ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) في بيت أم سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ، فجلله بكساء ثم قال : "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً " . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك وأنت على خير[2] " . وهناك روايات أخرى . وعلى الآيات الكريمة : { **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ**

---

(1) صحيح البخاري 4 / 1883

(2)سنن الترمذي 5 / 328

اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) }
[الأحزاب] .

أما بالنسبة للمعنى اللغوي ، فقد وقفنا على اتساع معناه ليدل على الأزواج والذرية والتابعين للدين ، وأما بالنسبة للأحاديث الواردة في أهل الكساء ، ففي بعضها لا يُدخِل النبي عليه السلام أم سلمة – وهي من أزواجه – في أهل البيت ، وفي بعضها الآخر يُدخِلها . أما السؤال الأساسي ، فهو : هل أهل البيت هم آل النبي أم أن بين المصطلحين اختلافا ؟ هذا ما سنبينه في الصفحات الآتية .

من هم أهل البيت ؟

ورد ذكر " أهل البيت " في القرآن الكريم في موضعين ، الأول في سورة هود : { **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)** } . والموضع الثاني هو الذي ذكرناه سابقاً : { **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)** } [الأحزاب] .

قد يتساءل القارئ لأول وهلة : ما العلاقة بين الآيات السابقة ؟ فالأولى وردت في أهل بيت إبراهيم عليه السلام ، والثانية في أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى إبراهيم وعلى آلهما . نقول : هناك ملاحظات في هذه الآيات لابد من الوقوف عليها ، وهي أن إبراهيم ومحمد عليهما السلام بينهما ديانة مشتركة وبيت مشترك . وإن كان ما سبق من كون إسماعيل ليس من ذرية إبراهيم صائباً ، فليس بين إبراهيم والنبي بيت " مادي " مشترك ، وإنما المشترك بينهما بيت آخر ، خصوصاً وأن هذا البيت جاء معرفا ب (ال) التعريف وليس بالإضافة لا إلى إبراهيم ولا إلى النبي عليهما السلام ، وكما نعلم

فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، فما هو هذا البيت ؟ نبحث عن هذا البيت معرفا بـ(ال) التعريف ، فنجد الآيات التالية :

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) .... ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) } [الحج] .

{ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) .. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) } [البقرة] .

{ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158) } [البقرة] .

{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) }
[آل عمران] .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2) } [النساء] .

{ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97) } [المائدة] .

{ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35) } [الأنفال] .

{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا

مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) } [الحج] .

{ **وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7)** } [الطور] .

{ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)** } [قريش] .

نلاحظ من الآيات السابقة أن لفظة " البيت " لم تأت إلا للدلالة على الكعبة المشرفة ، وفي آية واحدة فقط للدلالة على البيت الذي في السماء " البيت المعمور " وهو مقابل للكعبة في السماء السابعة . ويأتي البيت إما لوحده أو موصوفا بصفات مثل (العتيق – الحرام) ، وما يهمنا ، هو البيت لوحده ولا يدل إلى على المسجد الحرام في القرآن الكريم ، وكما هو معروف فإن الله بوأ لإبراهيم مكان البيت وهداه إليه ليبنيه هو وإسماعيل عليهما السلام ، فهما أهل هذا البيت ، أي أن أهل البيت هم أهل البيت الحرام وليسوا أهل بيت إبراهيم أو أهل بيت محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

لكن ، قد يتساءل قائل : ما الدليل على ذلك ؟ نقول : الدليل من القرآن نفسه ، فكما قلنا البيت هو المسجد الحرام ، وفي آية أهل البيت نفسها فإن إبراهيم عليه السلام ، قبل مولد إسحاق عليه السلام لم يكن له ولد كما

قلنا ، أو كان له إسماعيل ، وهو وأمه في مكة ، بينما إبراهيم وسارة في فلسطين ، وعندما أتت الملائكة لتبشر إبراهيم بإسحاق ، قالت : " السلام عليكم " ، فمن هم أهل بيت إبراهيم غير إبراهيم وسارة ، فلِمَ لمْ تقل الملائكة : " السلام عليكما " ؟ ونفس الحالة تتكرر في آية سورة الأحزاب ، إذ يكون الخطاب لأزواج النبي صلى الله عليه وعلى آله ، ثم تتحول الصيغة إلى الجمع فجأة لتذكر أهل البيت ، ثم تعود الصيغة إلى أزواج النبي بعد تلك الآية ، لتنبه القارئ المتدبر أن المقصودين في الآيتين كليهما ليسوا المخاطبين وحدهم .

وفي آية سورة الأحزاب مسألتان : الأولى أن " عليكم " بصيغة الجمع وهي للدلالة أن معهم غيرهم كما قلنا . والثانية أن تتمة الآية :
" واذكرن ما يتلى في بيوتكن " وهذه مسألة جديرة بالوقوف عليها ، إذ إن البيت تحول إلى بيوت وأضيف إليه ضمير يعود على أزواج النبي ، فإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على أن البيت الأول غير البيوت التي ذكرت بعد ذلك . ثم إن البيوت جعلها الله سبحانه وتعالى لنساء النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فكل امرأة تسكن في بيت هو ملكها ، أما "البيت" ، فلا يأتي معه ضمير نهائيا لأنه معروف ما هو ولا يحتاج إلى إضافة ، كما أن بيوت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصفها الله سبحانه بـ " الحجرات " ، فلا يدل البيت إلا– كما يدل دائماً – على المسجد الحرام .

يدل ما سبق أن أهل البيت هم : إبراهيم وزوجته والأنبياء من ذريته ، والنبي صلى الله عليه وعلى آله ، وعلي وفاطمة ، والحسن والحسين وذريتهما ،

ومن جعلهم الله معهم كسلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه. وما يؤكد أكثر فأكثر أن البيت المقصود هو البيت الحرام ، هو أنه كانت بيوت النبي وبيت علي بن أبي طالب في المسجد ، ولم يكن يسمح لأحد غيرهما أن يقعد في المسجد وهو على جنابة ، والمقصود من ذلك أن أهل البيت هم وحدهم يقيمون في البيت وإن كانوا على جنابة .

فإن قلت : ليس كل مسجد هو البيت الحرام . فإن كل مسجد يمثل البيت الحرام في المنطقة التي يقع فيها ، فمن استطاع الوصول إلى مسجد من المساجد ، فمن المستحب أن يؤدي فرائضه فيه دائماً ، والمساجد كلها موجهة إلى البيت ، وانظر كيف سمى الله سبحانه وتعالى المساجد " بيوت " :

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (36) } [النور] . نلاحظ أنه في هذه الآيات التي تتحدث عن المؤمنين ، تستأنف بأنهم موجودون في "بيوت" ، أي في مساجد واستعمل الله عز وجل لفظة " ترفع " لتقابل **{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) }** [البقرة] .

لتكون البيوت (المساجد) هنا مقابلة للبيت الحرام ، وبما أن هؤلاء المؤمنين أهل للبيت ، فلن تجدهم إلا في تلك البيوت يعبدون الله سبحانه ويدعون الناس إلى عبادته .

رأس أهل البيت عليهم السلام :

يقول تعالى : { **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (36)** } [النور] .

في هذه الآية ، يبيّن الله سبحانه وتعالى أصل الإيمان ، وهو شجرة مباركة يتم ذكرها في آية أخرى : { **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)** } [إبراهيم] .

فإن أردنا أن نعرف الشجرة المقصودة في هذه الآية الكريمة ، يكفي أن ننظر إلى اسم السورة التي وردت فيها الآية ، فنرى أنها سورة إبراهيم عليه

السلام ، وننظر إلى الآيات السابقة ، فنرى أن الله سبحانه يقول عن الشجرة بأنها "زيتونة" ، والزيتون رمز لفلسطين موطن إبراهيم الخليل . فالزيتونة هي إبراهيم عليه السلام ، وهو أصل الشجرة المباركة وأصل نور الله في قلب كل مؤمن ، فيصبح تفسير الآيات السابقة : مثل نور الله في قلوب المؤمنين – وهم الكلمات الذين يحق الله الحق بهم { **وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82)** } [يونس] – كمثل مشكاة تشع نوراً ، وهذه المشكاة فيها زجاجة وهي صدر المؤمن والزجاجة فيها مصباح وهو قلب المؤمن ، والزجاجة توقد أي تأخذ طاقتها الأولى من شجرة مباركة هي إبراهيم الخليل عليه السلام ، هذه الشجرة لا شرقية ولا غربية (لا يهودية ولا نصرانية) يكاد الإيمان يضيء جسمه ولو لم يمتحنه الله ليبين ذلك للناس ولكن الله يريد أن يوضح سبب أفضليته ، فيمتحنه بشتى الامتحانات والابتلاءات فينجح فيها بجدارة ، فيجعله الله إماما وقدوة للناس ، ويسميه " سليم القلب " ، ولم يذكر أحد غيره بسليم القلب : { **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)** }[الشعراء] .

{ **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)** } [الصافات] . والقلب السليم دليل الإيمان الخالص ، يقول صلى الله عليه

وآله وسلم : " نحن أحق بالشك من إبراهيم ، إذ قال : (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) ، ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي[1] " .

وفي آخر الآية يقول الله سبحانه : { **نُورٌ عَلَى نُورٍ** } أي أن آله كلمة تأتي بعد كلمة ، نور يولد من نور ، يحق الله بهم الحق وينصر دينه .

إبراهيم عليه السلام رأس أهل البيت أينما كان : يقول ابن كثير في تفسيره : " ثبت في الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في حديث الإسراء – بعد مجاوزته إلى السماء السابعة – : " ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم " يعني : يتعبدون فيه ويطوفون ، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت ، هو كعبة أهل السماء السابعة ؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ؛ لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل ، وهو بحيال الكعبة ، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ، ويصلون إليه ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة[2].

---

(1) صحيح البخاري 3 / 1234

(1) تفسير ابن كثير ص 7 / 427 – 428

إبراهيم عليه السلام أصل الشجرة الطيبة (شجرة أصحاب الجنة) في الآخرة : " عن سمرة بن جندب قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة ، أقبل علينا بوجهه ، فقال : من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ قال : فإن رأى أحد قصها ، فيقول : ما شاء الله . فسألنا يوماً ، فقال : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ قلنا لا . قال : لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ... فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجاني منها ، فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب . قلت : طوفتماني الليلة ، فأخبراني عما رأيت . قالا نعم ... والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم[1] " . إذ لو لم يكن وجود إبراهيم عليه السلام عند أصل الشجرة رمزياً ، لكان إبراهيم أرفع مكانا من بقية أصاب الجنة ولما كان تحتهم ، فدل ذلك أنه هو أصل تلك الشجرة .

---

(1) صحيح البخاري 1 / 465 - 466

هل إسماعيل عليه السلام وأمه من أهل البيت

هذا التساؤل ضروري للإجابة عن سؤال يظهر من حين لآخر ، وهو : لِمَ الصلوات الإبراهيمية ؟

نقول : إسماعيل عليه السلام ليس من أهل البيت ، لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى . يقول عز وجل : { **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ** (**45**) **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ** (**46**) **وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ** (**47**) **وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ** (**48**) } [ص] . فهذه الآية كغيرها من الآيات التي تذكر آل إبراهيم ، تبدأ بذكر إبراهيم وذريته ، ثم تتبعهم بإسماعيل في آية مستقلة ، مع أنه كان معهم . وما يلفت النظر في هذه الآية الكريمة ، هو قوله تعالى : { **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ** } . وهو تكريم الله واصطفاؤه لهم بخالصة ، هي ذكرى الدار ، وذكر المفسرون أن هذه الدار هي الدار الآخرة ، ولم يتنبه أحد لقوله تعالى : { **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (**26**) **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** (**27**) } [الحج] . فإبراهيم وذريته أخلصوا بخالصة هي ذكرى البيت الحرام ، حيث أصبحت دعوة إبراهيم عليه السلام من شعائر الحج ،

وقصة ذبح إسحاق أصبحت من شعائر الحج كذلك ، ولا يكاد يذكر اسم البيت إلا مرفقاً باسم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما إسماعيل فيؤخر دائما حتى في قصة بناء البيت ذاتها ، يقول عز وجل : { **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)** } [البقرة] . وهو التأخير نفسه في بقية الآيات .

هناك ملاحظة أخرى ، فبعد ذكر إخلاص إبراهيم وإسحاق ويعقوب بخالصة ذكرى الدار ، يقول عز وجل : { **وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ** } . والاصطفاء يدل على تلك الخالصة ، فقد اصطفاهم الله لذكرى الدار . أما عن إسماعيل ، فيقول تعالى : { **وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ** } . فلا وجود للاصطفاء ، ولكن إسماعيل عليه السلام من الأخيار أيضاً .

إن كان الأمر كذلك ، فما بال الآيات { **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123) وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ**

السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)} [البقرة] . نقول : الخطاب لبني إسرائيل يذكرهم الله بأبيهم إبراهيم الذي جعله الله إماماً للناس ، فدعا لذريته ، فلم ينل عهد الله له بالإمامة الظالمين من ذريته ، ويذكرهم بالبيت العتيق وكيف جعله الله مثابة للناس ، ويأمرهم بأن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، ولا يأتي ذكر إسماعيل عليه السلام إلا بمساعدة إبراهيم في بناء البيت وتطهيره ، ولكن مع ذلك لا يمكن إنكار أن لإسماعيل عليه السلام حظاً كبيراً في أهلية البيت ، خصوصا وأنه وذريته عاشوا بجانب البيت وكانوا يحفظونه ، فالله أعلم .

إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء عيهم جميعا الصلاة والسلام :

من الملاحظات من هذه الآية : { **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)** } [آل عمران] ، هي أنه لا وجود لآل نوح ولا لذريته ، ونعلم أن الله سبحانه يقول : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26)** } [الحديد] . فما معنى ذلك ؟

المصطَفَون على العالمين هم آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران . إن آل عمران هم ، عمران نفسه ، و امرأته ، وهارون ، ومريم ، وعيسى عليهم

السلام ، وجاء ذكرهم بشكل مستقل تكريماً للمسيح ، الذي لم يكن له أب ، ويبقى آل إبراهيم ، وقلنا أن إبراهيم أصل الشجرة المباركة ، فهو إذن أب لكل الصالحين ، ما عدا المذكورين في هذه الآية ، لأن آدم هو الأب الأول للبشر العقلاء ، ونوح هو الأب الثاني ، أما إبراهيم فهو الأب الروحي لما بقي من بني آدم ما عدا عيسى الذي لم يكن له أب ، والله أعلم

أين آل محمد صلى الله عليه وسلم من آية الاصطفاء ؟

تدعو الأمة الإسلامية في كل صلاة (الصلوات الإبراهيمية) أن يكون آل محمد مشمولين في آية الاصطفاء ، فيستجيب الله سبحانه وتعالى بقوله : **{ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)}** [فاطر] .

{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) }
[الحج] .

{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) } [الأحزاب] . فأمة المصطفى ، صلى عليهم الله كما صلى على آل إبراهيم واصطفاهم كما اصطفى آل إبراهيم واجتباهم كما اجتبى آل إبراهيم عليه السلام والحمد لله .

من هو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وعلى آله

نظراً لمكانة هذا النبي الكريم وإمامته للناس ، تسابقت اليهود والنصارى بالافتخار بأبوته وبأنهم منه وهو منهم وعلى دينهم ، فجاء رد الله عليهم بأن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، بل كان حنيفاً مسلماً لله طائعا لأوامره ، وأن أولى الناس بقرابة إبراهيم للذين اتبعوه والنبي صلى الله عليه وعلى آله والذين آمنوا : { **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)** } [آل عمران] ، وسماه الله أبا المسلمين : { **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(78)** } [الحج] . لأنه أسلم لله أعظم إسلام حين أمره أن يذبح ابنه إسحاق : { **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي**

أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) } [الصافات] .

فتشرف النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وأمته بأن يكونوا من أبناء إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وعلى آله .

لكن ، في العصر الحديث ، تسابقت الأقلام في تحديد أصول إبراهيم الخليل ، فهو سرياني مرة ، ومرة عموري ، ومرة آرامي ، ومرة عربي ، فرأيت أن أبحث عن أصول إبراهيم الخليل بعد رأيت في كثير من تفاسير القرآن الكريم أن الذي أشار بتحريق إبراهيم رجل من الأكراد اسمه " هيزن " ، وقد قرأت قبل ذلك في كثير من الكتب كيف يُلصَق بالأكراد كل مذموم في التاريخ الإسلامي ، ولكن في هذا الموضوع يختلف الأمر كثيراً ، إذ لو كان الذي أشار بتحريق إبراهيم كردياً ، ، فكيف يكون ذلك الرجل مطاعاً عند الملك في ما يشير عليه من أمور وهو رجل غريب عنهم ، فلا بد أن من كان إبراهيم يعيش بينهم كانوا أكراداً ، والله تعالى يسميهم قومه ، فهو كردي إذن ! إن ذلك استنتاج بسيط قد لا يقنع القارئ . لذا ، رأيت أن أبحث أكثر وبأسلوب علمي في هذا الموضوع ، وأثناء بحثي وجدت بحثاً جاهزاً للدكتور (سيد القمني) في كتابه "

إبراهيم والتاريخ المجهول " ، يتناول فيه الأخطاء التاريخية المتعلقة بموطن إبراهيم عليه السلام وهجرته وأصله .

فمن المغالطات التاريخية ، ما جاء في التوراة عن هجرة إبراهيم الخليل أنه اتجه – بعد أن خرج من بين قومه يقصد فلسطين – من " أور الكلدانيين " التي تقع على الشاطئ الجنوبي لنهر الفرات ، شمالاً إلى حاران التي تقع في كردستان تركيا على الحدود مع سوريا ، ثم انحرف جنوباً إلى فلسطين ليضرب مسافات طويلة – دونما سبب واحد – وليصل بعد رحلة شاقة إلى فلسطين ، مع العلم أن المسافة بين أور الكلدانيين وفلسطين أقصر بكثير لو اتجه في خط مستقيم غرباً . فلم تحول شمالاً مسافات شاسعة ثم تحول جنوبا ليضرب بلدانا ومواطن بقدميه بين البلدين؟ " والأهم أن " حاران " تبدو في رواية التوراة كما لو كانت محطة ترانزيت بين أور وكنعان ، بينما الحقيقة أنها تقع إلى الشمال بعيدا عن الطريق بمسافات شاسعة[1] " .

ثم تقول التوراة : " وقال الرب لأبرام : " اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك[2] " ... ثم تتابع التوراة فتقول

---

(1) النبي إبراهيم والتاريخ المجهول ص 47

(2) تكوين 12 : 1

: " فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط . وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران[1] " . فحاران – إذن — هي أرضه وأرض عشيرته .

ثم إن التوراة تقول إن إبراهيم بعد أن كان استقر في كنعان ، وعندما أراد أن يزوج إسحاق ، طلب من رئيس عبيده أن يأتيه بزوجة لولده إسحاق من بين أهله وعشيرته ومن موطنه ، فما كان من العبد إلا أن ذهب إلى مدينة " ناحور " ، و ناحور هو جد إبراهيم عليه السلام ، والمدينة هي " آرام النهرين " ، ثم حدثت القصة مع يعقوب عليه السلام ، فقد أمره أبوه أن يتزوج امرأة من بلاد أجداده ، فذهب يعقوب إلى " فدان آرام " ، فخرج من بئر سبع وذهب إلى حاران .

إن كتبة التوراة يتخبطون ، حين يحددون موطن إبراهيم عليه السلام ، فمرة وطنه أور الكلدانيين ومرة فدان آرام ومرة آرام النهرين ومرة حاران . (أما الجملة التي لم تمل – التوراة — تأكيدها فهي : " إن إبراهيم كان آراميا تائها[2] ")[3] .

---

(1) تكوين 12 : 4

(2) التثنية 26 : 5

(3) النبي إبراهيم والتاريخ المجهول ص 48

ثم يذكر الدكتور القمني الأرض التي كانت موطن إبراهيم عليه السلام تاريخياً ، فيقول بأن تلك الأرض كانت تعرف بـ " أرض الحور " ، ثم يستأنف قائلاً : " فإذا كانت الدويلات الآرامية قد تناثرت بطول الحزام الشمالي الذي عرف ببلاد الحور ، فإن ذلك يبين لنا سبب إصرار التوراة على القول بالأصل الحوري والآرامي معاً للقبيلة الإبراهيمية ، وعليه لا أعتقد أني أجافي الصواب إذا افترضت أن حاران التوراتية لم يقصد بها مدينة محددة بعينها (تلك التي تقع شمالي بلاد الشام داخل الحدود الأرمينية ، التركية القديمة) قدر ما قصد بها في التوراة منطقة واسعة شاسعة تضم مجموعة الدويلات الآرامية ... التي ضمتها بلاد الحور أو الحوريون ... فقد ذهب يعقوب إلى مدينة فدان آرام الواقعة في بلاد حاران أو بلاد الحور[1] "

هناك مسألة أخرى ، وهي أن اسم جد إبراهيم " ناحور " ينطق أيضا " ناحار " مثل " هارون " " هاران " ، وبالقلب المعروف في اللسان السامي يقلب الاسم " ناحار " إلى " حاران " .

ثم يقدم الدكتور القمني الحل لمشكلة أور الكلدانيين فيقول إن أور (UR) تعني " مدينة " مثل (أورشليم : مدينة السلام) وغيرها

---

(1) المصدر السابق ص49

(أوركومنيوس) ، (أوروك) .....

من جهة أخرى ، فإن دولة الكلدان لم تقم إلا بعد عهد إبراهيم عليه السلام بحوالي ألف عام أو يزيد ، فكيف يكون اسم مدينته أور الكلدانيين ؟ ومن هنا يبحث الدكتور القمني عن الكلمة التوراتية الأصلية ، فيرى أنها (أوركسديم) ، وبعد تحليل لغوي ممتع يتوصل إلى انها تعني (أور الكاسيين) في منطقة (أرابخيتيس) الحورية ، وهي تقع شمالا من حاران ، فتصبح حاران في المنتصف من مسير إبراهيم عليه السلام ، وبذلك يصحح المسار ، يقول الدكتور القمني : " وهكذا يتضح أن العشيرة الإبراهيمية وافدة على المنطقة من جنوب أرمينيا ، وقد وصفت التوراة إبراهيم عليه السلام بأنه رجل آرامي ، وأقر التراث الإسلامي إنه ليس من أبناء الجنس العربي وأن لسانه لم يكن عربياً . قال ابن هشام في السيرة : إن لسانه كان سريانياً (لسان شمالي بلاد الشام) ولكنه عندما عبر نهر الأردن إلى كنعان حول الله لسانه إلى اللغة العبرية "[1] .

يتوصل الدكتور القمني - أخيراً – إلى اعتقاد يقويه الدليل ، فيقول : " إذا كانت التوراة قد وصفت النبي إبراهيم عليه السلام بأنه رجل آرامي ، فقد انتهينا إلى أنه رجل (حوري) أيضاً ، ولم يزل اللسان الشامي يحتفظ إلى الآن

---

(1) النبي إبراهيم والتاريخ المجهول ص 53

بهذا المعنى ، فرجل الدين أو الكاهن هو (الخوري) والخاء تختلط بالحاء دون ضير ، مما يشير إلى أن الاشتغال بأمور الدين كان يغلب على أهله العنصر الحوري ، لذلك كان جلياً في التوراة أبوة إبراهيم عليه السلام للأنبياء ولا يغيب عن الخاطر أنه في المنطقة الحدودية بين المنطقة الكاسية الهندوأوربية والمنطقة العراقية والكنعانية وهي سامية ، كان سهلاً أن يتبادل حرف (ح) مع حرف (آ) أو مع الهمزة ، ومن هنا كان ممكنا أيضا أن تنطق حور الواقعة في المنطقة الكاسية أو (حور الكاسيين) بالنطق (أور – كاسيين) والتي يجب نطقها عبريا (أور كسديم)[1] ! " . ومما يؤكد صحة ما ذهب إليه الدكتور القمني ما ورد في تفسير ابن كثير : " قال سعيد : وحدثنا علي بن أبي طالب : أن إبراهيم أقبل من أرمينية ، ومعه السكينة تدله على تَبُوُّءِ البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتًا، قال: فكشفت عن أحجار لا يُطيق الحجر إلا ثلاثون رجلاً. قلت: يا أبا محمد، فإن الله يقول: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ } قال: كان ذلك بعد[2].

---

(1) المصدر السابق ص 54

(2) تفسير ابن كثير 1 / 432

أما بالنسبة للأصل الآرامي لإبراهيم عليه السلام ، يقول البابا " ألبير أبونا " في كتابه (الآراميون في التاريخ) : " لقد قام الملك الآشوري ناصربال الثاني (883 – 859 ق.م) في نهاية عهده بتزيين معبد " مامو " في بلاوات – وكان إذ ذاك يدعى " ايمكور – أنليل " بصفائح برونزية مرصعة حفظت لنا أقدم تمثيل للآراميين[1] " . " هناك فئات يمكن تشخيصها آرامية كانت توجد قبل القرن الثاني عشر السابق للميلاد . وكانت قبائل منها ستواصل وجودها في العصر الحديدي . ونرى أن اسم " حيرانو " قد ورد ذكره في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهو اسم معروف في لوائح القبائل في العصر الآشوري الحديث . وتظهر لنا الدراسة المقارنة للغات السامية أن اللغة الآرامية ، منذ الحقبة السابقة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، بدأت تتميز عن اللغة الكنعانية[2] "

ويقول أيضا : " لقد انتشر الآراميون انتشاراً واسعاً سريعاً منذ بدايات العصر الحديدي (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)[3] " .

---

(1) الآراميون في التاريخ ص 11

(2) المصدر السابق ص 12

(3) الآراميون في التاريخ ص 14

وهكذا ، فإن عهد الآراميين كان متأخراً بقرون عن عهد إبراهيم عليه السلام ، وكانت أسماؤهم الاحتمالية (أخلامو – سيتو – حيرانو) ، حتى إن لغتهم لم تنفصل عن اللغة الكنعانية إلا في وقت متأخر ، فإبراهيم عليه السلام - إذن – قد سبقهم في الوجود ولا أثر لذكرهم إلا في التوراة التي كتبت في عهد متأخر عن إبراهيم عليه السلام ، يقول الدكتور " أحمدالخليل " : " بعد سقوط مملكة ميتاني الحورية ، أصبحت المنطقة المركزية من بلاد الحوريين (منطقة الجزيرة في غرب كردستان والمناطق المجاورة لها شمالاً ، ومنها مدينة حران تحت سيطرة الآشوريين ، ثم تحت سيطرة الآراميين وأقيمت هناك إمارات آرامية سميت (ممالك) ، فنسب مدونو كتاب (العهد القديم) الأحداث المتعلقة بإبراهيم إلى الجغرافيا الآرامية لا إلى الجغرافيا الحورية[1].

أما بالنسبة لكون إبراهيم عليه السلام حورياً ، فهذا الأمر تدعمه دلائل كثيرة منها : " أشارت السجلات المسمارية في الألف الثاني ق.م إلى أن هؤلاء (الحوريين) كانوا سكان المناطق المشرفة على نهر الزاب الصغير (شمشاره وحواليها) بسهل بيتواته وكركوك وأربيل وموصل ووان الجزيرة ووديان

---

(1) الدكتور أحمد خليل : هل كان إبراهيم حوريا : مقال أنترنيت

نهر الخابور وحتى حلب وحواليها[1] " . فقد قال وليام لانجر : " ربما كان موطن الحوريين في بلاد نايري وهي الاسم الذي أطلقه الآشوريون على الإقليم الواقع إلى الشمال والشرق من بحيرة وان .... تحرك الحوريون من هناك جنوباً في أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى شرق آشور وغربها[2] " .

ويقول الدكتور أحمد : " وكان الانتشار الحوري قد امتد غربا أكثر فوصل إلى شمالي سوريا منذ سنة (2200 ق.م)[3] " . "كما كتب الدكتور أحمد هبو بشأن انتشار الحوريين داخل سوريا قائلاً : يبدو أن الحوريين ... تحركوا في العصر البابلي القديم (حوالي 2004 – 1594 ق.م) باتجاه الغرب ، وعبروا نهر الفرات الأعلى وانتشروا في المناطق الشمالية من بلاد الرافدين وسوريا حيث أصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من السكان إلى جانب الأموريين ..[4] " .

---

(1) تاريخ مملكة ميتاني الحورية ص25

(2) المصدر السابق ص 28

(3) المصدر السابق ص 28

(4) المصدر السابق ص 28 - 29

أما عن وجودهم في فلسطين ، " قال الدكتور جمال رسيد أحمد في هذا الشأن : " وظاهرة وجود عدد كبير من الخوريين في فلسطين لا تحتاج إلى مناقشة طويلة ، فرغم عدم ورود خبر في التوراة عن الخوريين الذين يعيشون في منطقة يزرائيل (هامش : مرج ابن عامر حالياً في فلسطين) ولكن أسماء الأعلام الخورية المسجلة في ألواح تعنك التي اكتشفت بوادي يزرائيل ، تبين حقيقة كون سكان هذه المنطقة من الخوريين . وقد درس أ. غوستاف A.Gustav هذه الأسماء التي كانت غالبيتها خورية وأكثر بكثير من الأسماء الكنعانية . وهذا الواقع ينطبق على أماكن أخرى من فلسطين خلال أواسط الألف الثاني قبل الميلاد[1] " .

ففترات وجود الحوريين وهجراتهم مطابقة تماماً مع الفترة التقديرية التي عاش فيها إبراهيم عليه السلام . فإبراهيم عليه السلام كان يعيش بين الحوريين في صباه ، وعشيرته حورية كانت تقيم على أراضي الحوريين ، وعندما هاجر إلى فلسطين عاشت عشيرته بين الكنعانيين ، فتحولت لغة أحفاده إلى الكنعانية ثم إلى العبرية كما سنرى .

---

(1) المصدر السابق ص 20

إن كان إبراهيم حوريا ، فمن هم الحوريون ؟

هناك عدة آراء في أصول الحوريين ، ينقل لنا منها الدكتور أحمد محمود الخليل أرجحها وأثبتها ، حيث يقول : " الحوريون هم نتاج الاندماج الاثني والثقافي بين القبائل الآرية وأقوام زاغروس القدماء[1] " ، حيث أن الآريين وفدوا على المنطقة من شمال كردستان و " تفوقوا على أقوام زاغروس القدماء وأصبحت السيادة والسلطة في أيديهم ، وأضفوا طابعهم الثقافي والسياسي على التكوين الاجتماعي الجديد ، لكنهم لم يستطيعوا في الوقت نفسه إلغاء جميع الخصائص الزاغروسية الأصلية ، وإنما تأثروا بها كثيرا أو قليلا وظلت الخصائص الآرية والزاغروسية متجانسة ومتفاعلة في الشخصية الحورية والمجتمع الحوري[2] " .

هذا بالنسبة لأصل الحوريين ، فمن هم الحوريون الآن أي من هم أحفاد الحوريين ؟

---

(1)،(2) تاريخ مملكة ميتاني الحورية ص 23

حسب آراء كثير من المؤرخين ، فإن الحوريين هم أجداد الشعب الكردي ، وممن يقول بهذا الرأي الدكتور أحمد محمود الخليل ، حيث يبدأ بشرح تفصيلي لاسم الحوريين ، فيقول : " اسمهم الشائع في الدراسات العربية هي (حوري) ، أما اللفظ الصحيح فهو (خُورّي) بالخاء وتشديد الراء – Hurri (بوضع نقطتين تحت H) ، ولهذا الاسم صلة بكلمة (خُرَدي = خُرادي) التي ترد في النصوص الحورية والأورارتية ، وتعني Hurradi (الجندي اليقظ – الحارس) ، وسماهم الحثّيّون خُور–ليش Hur-lesh وخُور – لوش Hur-lush ، وهذه الصيغة جمع مفردها (خور–لو) ، وكانت تقرأ بصيغة (خورري) ، ومن صيغ اسم شعب حوري : (خور–دو) و (خور–روم) ، ويسمى شعب حوري باسم (هُوري) لأيضاً ، وما زال هذا الاسم مستعملا عند الكورد ، وثمة في منطقة عفرين (جبل الكورد = كورد داغ ، في أقصى غربي كوردستان) سلسلة جبلية اسمها بالكوردية (جبل هاوار) Ciyaye Haware ، وهو أحد صيغ (هوري / حوري) ، ويوجد رجال يحملون اسم (هُورو ، هُوريك ، أُوريان) ، ونساء يحملن اسم (هُوري Hore)[1] " .

---

(1) تاريخ مملكة ميتاني الحورية ص 19

ثم ، بعد ذلك ، يستأنف حديثه قائلاً : " تبقى مسألة الحور منحصرة في الفرع الآري (الكورد والفرس والأرمن) لأنهم ليسوا من الفرع السامي ، " أما الفرس فلم يصلوا إلى غربي آسيا إلا مع الموجة الآرية الأخيرة التي ضمت الميد أيضاً ، وكان ذلك حوالي الألف الأول ق.م ، ولا ريب أن وجود الحوريين في غربي آسيا أقدم من وجود الفرس بلا أقل من ألف عام [1] " . " وأما الأرمن ، فذكر كل من المؤرخ اليوناني هيرودوت (80 – 25) ق .م والمؤرخ الروماني سترابون (63 ق.م–19 م) أنهم كانوا في الأصل من سكان البلقان ، وعبروا البوسفور والدردنيل في القرن الثاني عشر ق.م ، واستقروا في فريجيا (وسط الاناضول ، غربي نهر هاليس / قزيل إرماق) في القرن الثامن ق.م ، ثم توغلوا شرقا على مراحل حتى وصلوا إلى منطقة آرارات في أواخر القرن السابع ق.م ، حيث يقطن شعب هاياساHayasa الحثي بعد تغلبهم على الحوريين[2] " .

وهكذا , فالمسافة بين الحوريين والفرس والأرمن بعيدة جداً زمانياً ، وليس من المعقول أن تكون بينهم صلة قرابة ، ولا يبقى سوى الكرد الذين كانوا سكان المنطقة منذ القديم .

---

(1)تاريخ مملكة ميتاني الحورية ص 266

(2) المصدر السابق ص 267

من جهة أخرى ،هناك الكثير من التشابه بين اللغة الحورية واللغة الكردية المعاصرة ، من حيث المفردات والفونومينات وتركيبة الجملة بحسب ما يقول الدكتور " جمال رشيد أحمد " . كذلك ، فإن لغة مملكة ميتاني الكردية ، وكذلك لغة الميديين متشابهة مع اللغة الكردية بحسب ما يؤكد كثير من المؤرخين ، ما يدفع إلى الاعتقاد بأنهم من أسلاف الكرد .

من الأمثلة عن تشابه اللغتين الحورية والكردية : التشابه من حيث استعمال اللواحق والأصوات وتبديلها بأصوات أخرى , مثل تحول اللام إلى راء في كلتا اللغتين واستعمال اللاحقة " ari "التي تساعد على تحديد الانتماء المكاني عند الحوريين , مثل " nawar-ari " نواري ، وفي الكردية مثل " kurdaw-ari " : الانتماء إلى الكردية , وكذلك اللاحقة الحورية h-he-hi التي تحدد انتساب الفرد إلى قوم , مثل " hurrup-hi " حوري , واللاحقة ati التي تعين ما يتعلق بجماعة اثنية , مثل lullu-ba-ti " قديما و , " kurd-ati " وغير ذلك من أوجه التشابه , ولمن أراد التوسع في هذا الموضوع الرجوع إلى كتاب " تاريخ مملكة ميتاني الحورية " للدكتور " أحمد محمود الخليل "

يبقى الدليل الجغرافي , وهو بين وواضح , فالجغرافيا التي عاش عليها الحوريون والميتانيون والميديون هي نفس الجغرافيا التي مازال يعيش عليها الشعب الكردي خلال القرون المتطاولة , ووثائق التاريخ الإسلامي تشهد بذلك . فبعد هجرة الميد في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وهجرة السكيث "

" Scythiansإلى كردستان في الألف الأول قبل الميلاد , لم يذكر المؤرخون أية معلومة عن أية هجرات كبرى قام بها شعب إلى كردستان الحالية , وظل الأمر كذلك في العهود الأخمينية والسلوقية والبارثية والساسانية والأرمينية في عهد ديگران الكبير(توفي 54-55 ق.م) ، وكان هؤلاء جميعاً مجرد جاليات حاكمة ، وينحصر وجودهم الديمغرافي في حدود ضيقة . وظل الأمر كذلك في العهد الإسلامي على الرغم من استقرار بعض العرب في السهول المتاخمة لجبال الكرد ثم بعد ذلك توطين جاليات تركمانية في بعض مناطق كردستان لأغراض عسكرية .

وقد جاء في التلمود أن إبراهيم عليه السلام عاش في بلاد (الكردو) سبعة أعوام.

أما عن لغته العبرية , يقول الدكتور " أحمد خليل " : " كانت لغة إبراهيم وعشيرته مختلفة عن اللغة العبرانية التي دون بها التراث الديني اليهودي, فالعبرانية هي اللغة الكنعانية مكتوبة بالخط الآرامي المربع , وأول من تكلم بالعبرانية هم أولاد يعقوب (إسرائيل) بن اسحاق بن إبراهيم , أي أن الجيل الرابع من العبرانيين نسوا لغتهم الأصلية وتحدثوا باللغة الكنعانية[1] " .

---

(1)أحمد الخليل ، هل كان إبراهيم حورياً : سلسلة مقالات على الإنترنيت

أهل البيت من آل محمد صلى الله عليه وسلم

(محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله)

(علي و فاطمة , الحسن و الحسين وذريتهما عليهم السلام)

مع أن الآية الكريمة : { **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** } [الأحزاب] . تخاطب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه لم يسمِّ النبي أزواجه بـ(أهل البيت) ، ولا صحابته ، والاختلاف في ذلك كبير إلا أن القول في ذلك ما قاله ابن تيمية من أنه بين أزواج النبي وذريته عام وخاص ، فأزواجه من أهل بيته كما في آيات كثيرة من القرآن حيث تسمى الزوجة بالأهل ، بينما بالنسبة لعلي وقاطمة والحسن والحسين و النبي معهم ، فهم أهل البيت العتيق الذين هم أئمة الناس كما قدمناً سابقاً في هذا الكتاب ، وكذلك لم يسمِّ أحد سلمان كذلك بـ أهل البيت مع أنه ورد الحديث بكونه من أهل البيت : " عن عمرو بن عوف المزني ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حزب الأحزاب حتى بلغ المذاحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي –

وكان رجلاً قوياً – فقال المهاجرون : سلمان منا وقالت الأنصار : منا ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "سلمان منا أهل البيت*" .

وذرية الحسن والحسين قد شملهم الكساء وهم في صلبهما .

قبل الخوض في فضل أهل البيت عليهم السلام ، سنضع في الاعتبار ظروف التاريخ التي مرت بها الأحاديث الواردة في فضلهم ، فلم يكن من السهل على المؤمنين أن يتحدثوا عن فضائل أهل البيت في العصر الأموي الذي كان يكن لهم أشد العداء ،كذلك كان الأمر في العصر العباسي ، لذلك لابد لنا من الأخذ بعين الاعتبار أن ما يتم التشكيك به من الأحاديث الواردة في فضائلهم ، وخصوصاً في فضائل علي بن أبي طالب ، هو أقرب إلى الصحة منه إلى الخطأ ، فلو ذهبت تبحث عن فضائل أبي بكر رضي الله عنه في مصادر الشيعة فماذا ستجد ؟

بدرجة أقل عملت أيادي الناصبة في الدولة السنية على طمس فضائل أهل البيت نظراً للعدوة التي كانت قائمة بين العراق (المعارضة) والشام (السلطة) ، فنرى أن كل حديث يومئ بفضيلة لعلي بن أبي طالب قد ضعِّف من قبل (فارس) من فرسان السنة ، وسبب التضعيف غالباً ما يكون في أن فلاناً الذي

---

*- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 6 / 130

رواه عن فلان كان شيعياً أو كان يوالي أهل البيت ، أو غير ذلك من الاتهامات المتعلقة بالطائفة والمذهب والهوى ، وكأن من كان شيعياً فهو ضعيف سلفاً ، أو من كان يوالي أهل البيت ويحبهم فهو محكوم عليه بالضعف ، وهذا التطرف من قبل البعض مستمر إلى الآن ، فبحجة الاعتدال نراه يرمي كل حديث يخالف معتقد أهل السنة بالوضع والضعف ولم يسلم من أيادي الناصبة إلا بضعة أحاديث عجزت عن طمسها، فحاولت التقليل من شأنها ، كيلا تكون عائقاً أمام معتقدات أهل السنة والجماعة في تفضيل الخلفاء وبقية المبشرين وغيرهم وكأنه وحي من لم يؤمن به فقد كفر { أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ الطور } [الطور] .

لكن ، وردت الأحاديث الصحاح في صحيح البخاري ومسلم في تفضيل من فُضِّل . وهل كل الأحاديث الصحاح صحاح ؟ أنا عن نفسي لا أؤمن بأي حديث روي عن عمرو بن العاص أو عن معاوية ! هاكم مثالاً عن حديث ورد في البخاري ولنر كيف حُكِم عليه : روى البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة : " عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة

على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن[1] " يقول ابن حجر في تفسير آخر هذا الحديث : " قوله : (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله ، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك . وقال ابن التين قوله فلم يزل الخلق ينقص أي كما يزيد الشخص شيئا فشيئا ، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين ، فكذلك هذا الحكم في النقص ، ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق ، ولا شك أن عهدهم قديم ، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة ، ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال "[2]. وبغض النظر عن كلام ابن حجر ، فإن هذا الحديث يناقض العلم الحديث مناقضة صريحة . فأين تلك الثقة في الأحاديث الصحيحة ؟ إن من يعتبر ثقة عند البعض ، يعتبر ضعيفاً عند البعض الآخر ، وخصوصاً بين السنة والشيعة ، لذلك فالاعتماد على الأحداث التاريخية والاستقراء هو الأجدى في هذا الموضوع .

---

(1)صحيح البخاري 5 / 2299

(2)فتح الباري 6 / 423

فضائل أهل البيت

- وجوب محبتهم : فمحبتهم من الإيمان ، وبغضهم من النفاق .

" عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية : { قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } . قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (علي وفاطمة وولداهما)[1] " .

" عن المطلب بن ربيعة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم ولقرابتي)[2] ". "

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)[3] " .

" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(1)إحياء الميت بفضائل أهل البيت ص 14

(2)المصدر السابق ص 15

(3)المصدر السابق ص 17

وسلم : (من أبغضنا أهل البيت فهو منافق)[1] " .

- الحق والهداية معهم ، وهم مع القرآن :

" عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني مقبوض وإني تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي وإنكم لن تضلوا بعدهما)[2] " .

- النبي صلى الله عليه وآله وسلم عصبتهم ووليهم يوم القيامة :

" عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني عصبتهم فأنا أبوهم)[3] " .

" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)[4] " .

---

(1)إحياء الميت بفضائل أهل البيت ص 19

(2)المصدر السابق ص 24

(3)المصدر السابق ص 26

(4)المصدر السابق ص 28

- حرم الله عليهم النار :

" عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ((ولسوف يعطيك ربك فترضى)) . قال : من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار)[1] "
.

" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار)[2] " .

---

(1)إحياء الميت بفضائل أهل البيت ص 30

(2)المصدر السابق ص 31

مسألة : علي أم أبو بكر :

من المسائل التاريخية العالقة بين السنة والشيعة ، مسألة مَنْ مِنَ الصحابيين الجليلين هو الأفضل ، علي بن أبي طالب أم أبو بكر الصديق رضي الله عنهما ، وتبقى هذه المسألة ظنية ، حولها كل فريق إلى عقيدة لمذهبه بحيث من خالف قول أحد الفريقين هو ضال ، فقد قرأت فتيا تفيد بأن تفضيل علي على الشيخين يدخل المرء في " التشيع المذموم " وأتساءل ما هو التشيع المذموم ؟ التشيع المذموم أن تحب علياً وأهل البيت ، وتفضلهم على الناس حتى لو لم تكن غالياً فيهم .. سبحان الله ! يقول آخر : مَنْ أحبه الرسول صلى الله عليه وعلى آله أكثر من غيره ، فلابد أن تجاهد نفسك لتحبه أكثر من غيره ، ويقصد أبا بكر وعائشة ، وفي هذه الحالة لابد أن تحب أبا بكر أكثر من علي وأن تحب عائشة أكثر من فاطمة عليهم جميعاً رضوان الله .. ويغفل صاحب الفتيا عن حديث عائشة بأن أحبّ الناس إلى رسول الله كان علياً وفاطمة !

على كل حال ، إن كان تفضيل أبي بكر وعمر- كما قيل - متواتراً عن علي كرم الله وجهه ، فهناك - ببساطة - حديث الدجال الذي ورد في سنن ابن ماجة وغيره ، يقول فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله : " (وإن من فتنته أن يُسلَّط على نفس واحدة ، فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين ، ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له رباً غيري ،

فيبعثه الله ويقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول : ربي الله وأنت عدو الله . أنت الدجال ، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم) . قال أبو الحسن الطنافسي فحدثنا المحاربي حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة . قال : قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب ، حتى مضى لسبيله[1] " . وقال في حاشية السندي على ابن ماجه : " قوله : (أرفع أمتي) أي : الذين هم الموجودون يومئذ فلا يلزم تفضيلهم على الصحابة ، وقد جاء أنه الخضر فإن قلنا إنه قد صحب أيضاً ، فلا إشكال من هذا الوجه ، لكن يلزم الإشكال على أن الصديق أفضل الأمة وأن الأربعة أفضل الصحابة ، ثم بقية العشرة كما ذكروا في الكتب وإن قلنا إنه نبي فيرفع الإشكال بحذافيره[2] " . هذا الحديث يناقض الحديث : (قال علي رضي الله عنه : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وبعد أبي بكر عمر رضي الله عنه ، ولو شئت أخبرتكم بالثالث لفعلت)[3] . وهذا الحديث بدوره يناقض الحديث : (عن جابر بن عبد الله قال قال عمر لأبي بكر يا خير الناس بعد رسول الله فقال أبو بكر أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله

---

(1) سنن ابن ماجه 2 \ 1261

(2) حاشية السندي على ابن ماجه ص 513 – 514

(3) مسند الإمام أحمد 1 \ 106

صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر)[1] .

. فإن قال قائل : فإن درجة الصحة تختلف من حديث لحديث ، فإن الأحاديث بمجملها تحمل دلالة ظنية إلا ما تواتر ، والمتواتر هنا في هذا الشأن يختلف من فريق لفريق ، فقد تواتر عند السنة تفضيل أبي بكر وتواتر عند الشيعة تفضيل علي ، وإن كان كل فريق يحسب نفسه الفرقة الناجية وأنه هو الحق والآخر هو الباطل ، فإن كل ذلك يخدم الجوانب السياسية ولا شأن لنا بها . الحق بيّن والضلال بيّن ، فمن غالى في تقديس علي وأهل البيت ، وجعل الرزق والإحياء والإماتة في أيديهم ، فأولئك لا يختلف اثنان على ضلالهم ، أما ما تواتر عند كل فريق وكان متناقضاً لما عند الآخر ففي هذا إشكال ، فكيف يكون التواتر عند أهل السنة ونرى الكثير من العلماء على أن مسألة التفضيل ظنية ؟ أهل من المعقول أنهم لم يسمعوا بهذا التواتر ؟ ثم إنه لو كان هناك تواتر لما فضل زهاء عشرين من كبار الصحابة بمن فيهم سلمان وأبو ذر والمقداد والحذيفة بن اليمان وابن عباس والعباس وعمار وأبو سعيد الخدري وخزيمة بن ثابت وزيد بن أرقم وأبي بن كعب ، لما فضلوا علياً على سائر الصحابة حسبما ذكر ابن حزم . كما أن أهل البيت قاطبة يفضلون علياً ، ومعتزلة بغداد شوافع وأحناف كانوا يفضلون علياً[2] .

---

(1) سنن الترمذي 5 \ 578

(2) الدكتور عدنان إبراهيم : من الأفضل علي أم أبو بكر ، يوتيوب

فأين التواتر من كل هذا الخلق ، واسمع ما روي عن عبد الرزاق الصنعاني حيث أخبره أستاذه راشد – وكلاهما ثقة – فقال : " كأن هذه الكوفة بنيت على حب علي ، لا تجد أحداً فيها إلا يفضل علياً على الشيخين ، قال – عبد الرزاق – فتعجبت ، قال : فضحك ، وقال : مالذي أنكرت من ذلك ؟ لو أن أحداً فضله عليهما ما عنفته ، ولو أن أحداً فضّل أبا بكر ما عنفته ، ولو أن أحداً فضل عمر ما عنفته ، إذا ذكر فضلهما . وذكر معمر له أن سفيان الثوري يفضل علياً على الشيخين قال – عبد الرزاق – فذكرت ذلك لوكيع ، فهش لها وضحك ، وقال : ما كان يبلغ سفيان عندنا هذا ، ولكن أمن إلى معمر ما لم يأمن لنا[1] " .

فتصور أجواء الإرهاب التي كان يعيشها العلماء ومنهم سفيان الثوري الذي – وبمحض المصادفة – قرأت لشيخ كان قد أعطى رأيه بأنه يفضل الشيخين وعثمان أيضاً على علي رضي الله عنهم أجمعين ، فبمن يمكن الوثوق إن كان العلماء الكبار لا يأمنون أن يذكروا ما في نفوسهم من حقائق أو آراء ، وهذا مثله أيضا كمثل باحث عن فضائل أبي بكر في مصادر الشيعة فماذا سيجد ؟ التطرف موجود في الطرفين ولانزال ندفع ثمنه إلى اليوم ، لذلك لابد من استقراء الأحاديث والأحداث التاريخية للوصول إلى شيء مقبول في هذا الموضوع .

---

(1)المصدر السابق

ما ورد في تساوي منزلتي الصديقين رضي الله عنهما :

كان جبريل مع أحدهما وميكائيل مع الآخر : " وقع عند ابن إسحاق من حديث أبي واقد الليثي قال : " إني لأتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي " ووقع عند البيهقي من طريق ابن محمد بن جبير بن مطعم أنه سمع علياً يقول " هبت ريح شديدة لم أر مثلها ، ثم هبت ريح شديدة ، وأظنه ذكر ثالثة ، فكانت الأولى جبريل والثانية ميكائيل والثالثة إسرافيل ، وكان ميكائيل عن يمين النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيها أبو بكر ، وإسرافيل عن يساره وأنا فيها " ومن طريق أبي صالح عن علي قال : " قيل لي ولأبي بكر يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يحضر الصف ويشهد القتال " وأخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه الحاكم [(1)]" . هذا الحديث يقارن بين علي وأبي بكر على وجه الخصوص ، ويقدمهما على بقية الصحابة لأن جبريل وميكائيل هلم أفضل الملائكة وكاىا مع علي وأبي بكر .

أخوة علي وصحبة أبي بكر : " عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصب رأسه بخرقة ، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه

---

(1) فتح الباري 7 \ 364

وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خلة الإسلام أفضل . سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر[1] " .

" عن ابن عمر قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء علي تدمع عيناه ، فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ، ولم تؤاخ بيني وبين أحد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنت أخي في الدنيا والآخرة[2] " . والأخ الصالح والصديق الصالح مقربان لكن يبقى الفضل للأخ على الصاحب .

المصاحبة والفداء : عندما هاجر النبي صلى الله عليه وعلى آله صاحبه أبو بكر ، ونام علي في فراشه ، فنال أبو بكر شرف المصاحبة في الطريق وذكرت الآية الكريمة : { **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)** } [التوبة] .

---

(1) صحيح البخاري ص 1 \ 178

(2) سنن الترمذي 5 \ 595

أما علي ، فنال شرف التضحية والفداء في سبيل الله وعرض حياته للخطر .
شرفان يعلوان فلا يعلى عليهما ، لكن الفداء أشرف .

أول الرجال إسلاماً : " عباد بن عبد الله قال : قال علي : أنا عبد الله وأخو رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب صليت قبل الناس بسبع سنين" . قوله : (وأنا الصديق) هو للمبالغة من الصدق وتصديق الحق بلا توقف من باب الصدق ، ولا يكون عادة إلا من غلب عليه الصدق قيل : فلذلك سمي أبو بكر صديقاً لمبادرته إلى التصديق قال كأنه أراد بقوله : الصديق الأكبر أنه أسبق إيماناً من أبي بكر أيضا وفي الإصابة في ترجمة علي هو أول الناس إسلاما في قول الكثير من أهل العلم ... وقال ابن رجب رواه النسائي في خصائص علي وقال الذهبي في الميزان هذا كأنه كذب على علي . وفي الزوائد قلت : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه الحاكم في المستدرك عن المنهال وقال : صحيح على شرط الشيخين والجملة الأولى في جامع الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعاً أنت أخي في الدنيا والآخرة وقال : حديث حسن غريب انتهى . قلت : فكأن من حكم بالوضع حكم عليه لعدم ظهور معناه لا لأجل خلل في إسناده وقد ظهر معناه بما ذكرنا[1] " .

" عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم – رضي الله عنه – قال : " إن أول من أسلم مع رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – علي بن أبي طالب –

رضي الله عنه –. هذا حديث صحيح الإسناد ، وإنما الخلاف في هذا الحرف أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – كان أول الرجال البالغين إسلاما وعلي بن أبي طالب تقدم إسلامه قبل البلوغ[2] " .

فههنا يجمع العلماء المسلمون بين الأقوال ، فيقولون : أول من أسلم من النساء خديجة ، وأول من أسلم من الصبيان علي –كانا إذ ذاك أهل البيت النبوي – وأول من أسلم من الرجال أبو بكر ، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من العبيد بلال الحبشي رضوان الله عليهم جميعاً . لكن هنا ، من الطبيعي أن يسمع علي وخديجة رضي الله عنهما بالخبر قبل بقية الناس ، فيؤمنان قبلهم حيث ورد في الخبر مرة أن النبي صلى الله عيه وعلى آله وخديجة وعلي كانوا يصلون ، ومرة كان هو وعلي يصليان فعثر عليهما أبو طالب .

أعلم الصحابة :

كبقية المسابقات ، جرى التسابق أيضا في هذه المسألة حيث سئل : من كان أعلم الصحابة ؟ فتشكل فريقان : الأول يقول أبو بكر ، والثاني يقول علي .

" عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان علي يقول في حياة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : إن الله يقول : (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله

---

(1) حاشية السندي على ابن ماجه 1 \ 57 – 58

(2) المستدرك على الصحيحين 4 \ 110

لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت ، والله إني لأخوه ووليه ، وابن عمه ووارث علمه ، فمن أحق به مني[1] " .

" عن معقل بن يسار قال : وضأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فقال : هل لك في فاطمة رضي الله عنها تعودها . فقلت : نعم . فقام متوكئا علي ، فقال : أما إنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك . قال : فكأنه لم يكن علي شيء حتى دخلنا على فاطمة عليها السلام ، فقال لها : كيف تجدينك ؟ قالت : والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي . قال أبو عبد الرحمن : وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث ، قال : أو ما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً ، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً[2] ؟ " .

" عن مسروق ، قال : وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة : عمر ، وعلي ، وأبي ، وزيد ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ؛ ثم انتهى علمهم إلى علي ، وعبد الله " .

---

(1) المستدرك 4 \ 95 - 96

(2) مسند الإمام أحمد 5 \ 26

" وعن ابن مسعود : علماء الناس ثلاثة : واحد بالعراق ، وآخر بالشام – يعني : أبا الدرداء – وهو يحتاج إلى الذي بالعراق – يعني : نفسه – وهما يحتاجان إلى الذي بالمدينة ، يعني : عليا رضي الله عنه[1] " .

أما بالنسبة لأبي بكر ، فبحثت ولكنني لم أجد حديثاً عن علمه ، غير أن العلماء قدموه في العلم أيضاً لأسباب ، كاعتباره أفضل الصحابة وأن النبي أمره أن يؤمّ الناس قبل موته ، وكبعثه في حجة الوداع ، ولا تشكل هذه الأحداث أي إثبات لكونه أعلم الصحابة !

العهد بالخلافة :

" عن عائشة قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : ادعي لي أبا بكر أباك ، وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[2] " .

" عن سلمان قال : قلت : يا رسول الله ، لكل نبي وصي ، فمن وصيك ؟ فسكت عني ، فلما كان بعد رآني ، فقال : " يا سلمان " ، فأسرعت إليه ، قلت : لبيك ، قال : " تعلم من وصي موسى ؟ " قلت : نعم يوشع بن نون ، قال : " لم ؟ " قلت : لأنه كان أعلمهم ، قال : " فإن وصيي وموضع

---

(1) سير أعلام النبلاء 2 \ 343

(2) صحيح مسلم 4 \ 1857

سري ، وخير من أترك بعدي ، وينجز عدتي ، ويقضي ديني علي بن أبي طالب[1] " .

وهذه الأحاديث - ولو ورد بعضها في الصحيح - فإن التاريخ يكذبها ، لأنه لو كان هناك عهد صريح لأبي بكر ، ما امتنع علي عن المبايعة ستة أشهر ، ولو كان هناك عهد صريح لعلي ، ما رفع عمر يد أبي بكر ، ولما تنازل علي لأبي بكر عن هذا الأمر . وهذا يشكل عبئاً وإشكالاً آخر لما ورد في الصحيحين ، ففي حين يتحسر ابن عباس على الوصية التي لم يكتبها النبي عليه السلام ، نرى هنا أنه يوصي لأبي بكر ، حتى أن الألفاظ متشابهة إلى درجة غريبة ، فاقرأ هذا الحديث وقارنه مع حديث يوم الثلاثاء (حديث ائتوني بكتف ودواة) : " عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ائتوني بدواة وكتف ، أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده أبدا " . ثم ولانا قفاه ثم أقبل علينا فقال : " يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[1] " . ومثله ما أخرج البزار عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لما اشتد به وجعه قال : ائتوني بدواة وكتف أو قرطاس ، أكتب لأبي بكر كتاباً ، أن لا يختلف الناس عليه . ثم قال : معاذ الله أن يختلف الناس على أبي بكر . هل رأيت التشابه ومقدار التأكيد على أبي بكر مما

(1) المعجم الكبير 6 \ 221

(2) مجمع الزوائد 5 \ 181

يوضح توجه الحديث إلى إقامة البرهان على طائفة ، فالجُمَل " فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر " ، " معاذ الله أن يختلف الناس على أبي بكر " موجهة بشكل خاص إلى الشيعة ، كما أن الأحاديث المقابلة موجهة إلى السنة .

مسألة سد الأبواب ودلالتها :

" عن زيد بن أرقم قال : كانت لنفر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أبواب شارعة في المسجد ، فقال يوما : " سدوا هذه الأبواب إلا باب علي " قال : فتكلم في ذلك ناس فقام رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : " أما بعد : فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكن أمرت بشيء فاتبعته[1] " .

" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وقال : إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله . قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو

(1) المستدرك 4 \ 94

المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي ، لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر[1] " .

هذا حديثان متقابلان ، كغيرهما من أحاديث المقابلة بين علي وأبي بكر ، فأما الحديث المتعلق بأبي بكر ، فهو وارد في الصحيح كعادته ، وأما المتعلق بعلي – كعادته أيضا – وارد في الضعيف أو الحسن ! فأي الحديثين أجدى بالصحة ؟

بعض العلماء كأمثال ابن الجوزي ، لم يتعب نفسه في محاولة التوفيق أو تقصي الصحيح من السقيم ، فأورد الحديث في الموضوعات ، فرد عليه ابن حجر في فتح الباري :

" جاء في سد الأبواب التي حول المسجد ، أحاديث يخالف ظاهرها حديث الباب ، منها حديث سعد بن أبي وقاص قال : أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي . أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي ، وفي رواية للطبراني في " الأوسط " رجالها ثقات من الزيادة فقالوا : يا رسول الله سددت أبوابنا ، فقال : ما أنا سددتها ،

---

(1) فتح الباري 7 \ 15

ولكن الله سدها . وعن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : سدوا هذه الأبواب إلا باب علي ، فتكلم ناس في ذلك فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته . أخرجه أحمد والنسائي والحاكم ورجاله ثقات ، وعن ابن عباس قال : أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأبواب المسجد فسدت إلا باب علي. وفي رواية : وأمر بسد الأبواب غير باب علي ، فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره . أخرجهما أحمد والنسائي ورجالهما ثقات . وعن جابر بن سمرة قال : أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسد الأبواب كلها غير باب علي ، فربما مر فيه وهو جنب أخرجه الطبراني . وعن ابن عمر قال : " كنا نقول في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خير الناس ثم أبو بكر ثم عمر ، ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم : زوجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ابنته وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد ، وأعطاه الراية يوم خيبر " أخرجه أحمد وإسناده حسن .
وأخرج النسائي من طريق العلاء بن عرار بمهملات قال : " فقلت لابن عمر : أخبرني عن علي وعثمان – فذكر الحديث وفيه – وأما علي فلا تسأل عنه أحداً وانظر إلى منزلته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد سد أبوابنا في المسجد وأقر بابه " ورجاله رجال الصحيح إلا العلاء وقد وثقه يحيى بن

معين وغيره . هذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً ، وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها . وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ، أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم ، وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته ، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق ، وأعله أيضا بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر[1] " .

فقد أكد ابن حجر صحة الحديث ، وحديث أبي بكر وارد في الصحيح ، وللمقارنة نبحث عن بيتي علي وأبي بكر . فأما بيت علي ، فقد ورد في الحديث : " عن سعد بن عبيدة قال جاء رجل إلى ابن عمر ، فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله . قال : لعل ذاك يسوءك ، قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنفك . ثم سأله عن علي ، فذكر محاسن عمله . قال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال : لعل ذاك يسوءك ، قال : أجل . قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق فاجهد علي جهدك[2] " .

" ووقع عند النسائي من طريق عطاء بن السائب ، عن سعد بن عبيدة

---

(1) فتح الباري 7 \ 18 – 19

(2) صحيح البخاري 3 \ 1358

في هذا الحديث " فقال : لا تسأل عن علي ، ولكن انظر إلى بيته من بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – . وله من رواية العلاء بن عيزار قال : سألت ابن عمر عن علي فقال : " انظر إلى منزله من نبي الله – صلى الله عليه وسلم – ليس في المسجد غير بيته[1] " .

وبالنسبة لبيت أبي بكر رضي الله عنه : " منزل أبي بكر كان بالسنح من عوالي المدينة .. فلا يكون له خوخة إلى المسجد ، وهذا الإسناد ضعيف لأنه لا يلزم من كون منزله كان بالسنح أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد ، ومنزله الذي كان بالسنح هو منزل أصهاره من الأنصار ، وقد كان له إذ ذاك زوجة أخرى ، وهي أسماء بنت عميس بالاتفاق وأم رومان على القول بأنها كانت باقية يومئذ . وقد تعقب المحب الطبري كلام ابن حبان فقال : وقد ذكر عمر بن شبة في " أخبار المدينة " أن دار أبي بكر التي أذن له في إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد ولم تزل بيد أبي بكر حتى احتاج إلى شيء يعطيه لبعض من وفد عليه فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين[2] " .فعلي عليه السلام كان بيته في المسجد ، فلو صح حديث أبي بكر ، إذن لبقي علي في بيته محاصراً ، أو لحرم من دخول بيته ! ومما يثبت وجود بيت علي في المسجد أخبار كثيرة لا نحتاج إلى ذكرها هنا ، ولذلك نقول :

---

(1) فتح الباري 7 \ 90

(2) فتح الباري 7 \ 18

باب علي هو الذي بقي مفتوحاً : لأنه لم يؤذن لأحد بالمكوث في المسجد على جنابة إلا للنبي ولعلي عليهما السلام ، وقد روي في الأثر : " عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم قيل : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوجه فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وسكناه المسجد مع رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يحل له فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر[1] " . فعلي أولى بألا يسد بابه ولو كان حديث أبي بكر وارداً في الصحيح .

أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله :

هناك حديثان متقابلان أيضا : " عن عمرو بن العاص أنه قال يا رسول الله من أحب الناس إليك قال عائشة قال من الرجال قال أبوها[2] " .

" عن جميع بن عمير ، قال : دخلت مع أمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها ، عن علي فقالت : تسألني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من علي ، ولا في

---

(1) المستدرك 4 \ 94 – 95

(2) سنن الترمذي 5 \ 663

الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من امرأته[1] " .

هذان الحديثان يسهل كثيراً التوفيق بينهما ، فإن أُوِّل الحب هنا بالمنزلة ، فحديث علي وفاطمة هو الذي يدل على المنزلة ، لأنه من المعروف أن فاطمة خير من عائشة ، فلا يدل إن كانت عائشة أحب الناس إلى الرسول عليه السلام لا يدل ذلك على كون عائشة خير نساء المسلمين ، وكذلك الأمر بالنسبة لأبي بكر رضي الله عنه ، فحديث علي وفاطمة أولى بأن يُؤَوَّل بالمنزلة ، كما أن الحديث الأول روي عن عمرو بن العاص .

المصاهرة : صاهر أبو بكر وعلي كلاهما النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فكانت مصاهرة علي كرم الله وجهه مثمرة بعكس مصاهرة أبي بكر ، وسيأتي القول عن مصاهرة علي للنبي صلى الله عليه وعلى آله فيما بعد .

---

(1)المستدرك 4 / 139

ما ورد من خصائص لأبي بكر لم تكن لأحد غيره :

لقب الصديق : وذلك لأنه كان يصدّق ما يقوله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولأنه عندما دعاه النبي إلى الإسلام أجاب مباشرة دون أن يتلعثم : " جاء في الحديث أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر ، فإنه لم يتلعثم[1] " .

" عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه ، حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم فقد غامر فسلم ، وقال : إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى علي ، فأقبلت إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر ، فسأل أثمّ أبو بكر ، فقالوا : لا . فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسلّم ، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثني إليكم فقلتم :كذبت . وقال أبو بكر : صدق . وواساني بنفسه وماله

---

(1) تفسير ابن كثير 4 \ 316

. فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين ، فما أوذي بعدها[1] " .

صحبته للنبي صلى الله عليه وعلى آله : نذكرها هنا أيضا لنزول آية في هذه الصحبة بخلاف تضحية علي كرم الله وجهه .

إمامته للمسلمين في حياة النبي قبل وفاته : وهذه ميزة لأبي بكر رضي الله عنه ، لأن النبي لم يقبل أن يؤمّ المسلمين غيره في ذلك الوقت ، ولكن هذا لا يعني وجوب خلافته حسبما يدعي البعض ، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله لم يسمّ أحداً للخلافة كما ذكرنا سابقا .

ما ورد من خصائص لعلي لم تكن لأحد غيره :

" **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** " : تكلمنا عن هذا الحديث فيما يخص الخلافة والآن نكمل حديثنا . يقول تعالى : {**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)**

---

(1) فتح الباري 7 \ 29

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) ... اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)} [طه] .

فموسى عليه السلام سأل ربه أن يجعل له " **وزيراً** " من " **أهله** " هارون " أخاه " ، ونحن نعلم أن علياً كرم الله وجهه كان الوحيد من قرابة النبي صلى الله عليه وعلى آله الذي جعله الله أخاه ومن أهله " عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً ، فقال : ما منعك أن تسب أبا التراب ، فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحب إلي من حمر النعم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه ، فقال له علي : يا رسول الله ، خلفتني مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي . وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال : فتطاولنا لها . فقال : ادعوا لي علياً ، فأُتي به

أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية : {فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم}. دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : " اللهم هؤلاء أهلي[1] " . وقال موسى عليه السلام : " **اشدد به أسري** " ، وكذلك كان علي بالنسبة للنبي صلى الله عليه وعلى آله ، فقد أوتي من القوة ما يصعب على العقول تصديقها " وذكر ابن إسحاق من حديث أبي رافع قال : " خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – برايته ، فضربه رجل من يهود ، فطرح ترسه ، فتناول علي باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه حتى فتح الله عليه ، فلقد رأيتني أنا في سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه[2] " . ومواقفه كثيرة مشهورة بما يغني عن ذكرها . أما قول موسى " **وأشركه في أمري** " فقد نوه إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فقال : " غير أنه لا نبي بعدي " ، وأبدله الله بفضائل أخرى سأذكرها مرتبة . فيقول تبارك وتعالى : " **ولقد مننا عليك مرة أخرى** " ، ثم يقول : " **إنني معكما** " وهذا مقابل لقوله تعالى بخصوص أبي بكر : " **إن الله معنا** ". إذن ، فالذي نستخلصه من هذه الآيات من خصائص علي :

---

(1) صحيح مسلم 4 \ 1871

(2) فتح الباري 7 \ 546

- **أهلية البيت .**
- **أخوة النبي .**
- **الوزارة والمساعدة على نشر الرسالة .**
- **الله وليه وولي النبي عليهما السلام وهو معهما دائما**

خصائص أخرى :

- **أشقى الناس من يقتله** : " عن عمار بن ياسر قال : كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل ، فقال لي علي : يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء ، فننظر كيف يعملون ، فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلي ، فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب ، فنمنا فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله –وقد تتربنا من تلك الدقعاء– فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : يا أبا تراب –لما يرى عليه من التراب– قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس : رجلين . قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : أُحَيْمِرُ ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذه–يعني قرنه– حتى تبل منه هذه ، يعني لحيته[1] " .

---

(١) مسند الإمام أحمد 4 \ 263

- **يقاتل علي على تأويل القرآن كما قاتل النبي على تنزيله** : وهذا من الفضائل التي أبدل الله بها علياً عن الإشراك في الرسالة ، وهي قتال علي بعد وفاة النبي عليه السلام على تأويل القرآن ، فتنتهي النبوة بوفاة النبي عليه السلام ، وتنتهي الخلافة بوفاة علي عليه السلام ، لتبدأ حقبة الملك والظلم والإرهاب مع معاوية .
- **تزوجه فاطمة** :

" عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها صغيرة . فخطبها علي ، فزوجها منه[1] " . وهذا تفضيل صريح على أبي بكر وعمر، فهذا التزويج تمناه كل الصحابة ، وأي شرف أعلى من شرف تزويج علي من سيدة نساء أهل الجنة ليلد منها سيدي شباب أهل الجنة وهو خير منهم ، وأن يتمنى كل مسلم وإلى يوم القيامة أن يكون من ذريته من فاطمة عليهما السلام .

- **" علي مني وأنا من علي "** : كل حديث مما سبق يكفي علياً ، فسبحان من جَمَعَ له كل هذا !!
- **" لا يؤدي عني إلا علي "** : وأمثلة هذا الحديث كثيرة ، منها بقاء علي بعد الهجرة ليرد ودائع قريش ، ومنها في نزول سورة براءة عندما ألحق النبي علياً بأبي بكر ليقرأ على الناس .

---

(1) سنن النسائي 6 \ 62

- **لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق** : وهذه الكرامة لأهل البيت عليهم السلام " عن زر قال : قال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[1] " .
- **فيه مثل من بعض الأنبياء** : فهو عليه السلام يشبه النبي صلى الله عليه وعلى آله في أنه لم يكن أحد يسمى باسمه قبله ، وأن الحق يدور معه حيث دار ، وكذلك يشبه عيسى عليه السلام بأن غالت فيه أمة حتى أنزلته منازل ليست له ، وكرهته طائفة حتى لعنوه على المنابر . وكذلك يشبه هارون عليه السلام .

" عن علي بن أبي طالب قال : دعاني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : " إن فيك مثلا من عيسى ، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به[2] " .

- **سكنى المسجد والمكوث فيه على جنابة** : " أخرجه الترمذي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك " ، " أخرجه إسماعيل القاضي في أحكام القرآن من

(1) صحيح مسلم 1 \ 86

(2) مجمع الفوائد 9 \ 133

طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يأذن لأحد أن يمر في المسجد وهو جنب إلا لعلي بن أبي طالب ؛ لأن بيته كان في المسجد[1] " . وهذا الحديث أيضا من أحاديث منزلة هارون من موسى ، حيث يتساوى النبي وعلي عليهما السلام في الحكم كون أحدهما صاحب الرسالة والثاني مساعده .

- **الراية يوم خيبر :**

" عن سهل بن سعد رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه ، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى ، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : أين علي ؟ فقيل : يشتكي عينيه . فأمر ، فدُعِي له فبصق في عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء . فقال : نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم[2] " .

" عن أبي ليلى قال : قلت لعلي – وكان يسمر معه – : إن الناس قد أنكروا منك أن تخرج في الحر في الثوب المحشو ، وفي الشتاء في الملاءتين الخفيفتين ؟ !

---

(1) تحفة الأحوذي 10 \ 113

(2) صحيح البخاري 3 \ 1077

فقال علي : أولم تكن معنا ؟ قلت : بلى قال : فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا أبا بكر فعقد له لواء ثم بعثه ، فسار بالناس فانهزم ، حتى إذا بلغ ورجع ، فدعا عمر فعقد له لواء فسار ، ثم رجع منهزما بالناس . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله له ليس بفرار " . فأرسل فأتيته وأنا لا أبصر شيئاً ، فتفل في عيني فقال : " اللهم اكفه ألم الحر والبرد " . فما آذاني حر ولا برد بعد . رواه البزار ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وهو سيئ الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح[1] " . وهذا الحديث تخصيص لعلي على الشيخين أيضاً .

- **النظر في وجه علي عبادة :**

" عن عبد الله قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : " النظر إلى وجه علي عبادة[2] " . فتخيل هذه الكرامة هداك الله .

- **ولايته عليه السلام للمؤمنين** : ذكرناها سابقاً في الكتاب .

---

(1)مجمع الزوائد 9 / 124

(2) المستدرك 4 \ 119

- **حديث الفرخ المشوي :**

" أنس بن مالك قال : أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم ، طائر مشوي ، فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ، يأكل معي من هذا الطائر فجاء علي رضي الله عنه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رب وإلي[1] " . وهذا الحديث مشهور أُلِّفت فيه كتبٌ ، وطرقه ورواته كثر (بضعة وثلاثون طريقاً ، ورواه بضعة وتسعون نفساً عن جماعة من أصحاب أنس ، زيادة عن ثلاثين نفساً ' وله طرق وردت عن سفينة وابن عباس وجابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري ويعلى بن مرة وحبشي بن جنادة وأبي رافع رضي الله عنهم أجمعين .. إن هذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً ، بحيث يرتقي إلى درجة الحسن عند بعض العلماء بحيث يعتدّ به .

مما تقدم ، نصل إلى أن علياً –كرم الله وجهه– هو أفضل الأمة بعد نبيها ، وأحب الأمة إلى الله ورسوله . والله تعالى أعلم .

---

(1) المعجم الأوسط 6 \ 414

مظالم أهل البيت عليهم السلام :

بيّنّا في الفقرات السابقة حقوق أهل البيت على المسلمين ، ووصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهم ، وبيّنّا وجوب محبتهم والاقتداء بهم ، فهم أهل البيت يستقبلون الناس في بيوت الله ، ويعلمونهم أصول الآداب في تلك البيوت . لكن ، بعكس وصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن أول ما استفتح به المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كان أن ضيعوا – شيئاً فشيئاً – حقوق أهل البيت ، حتى سخر الناس عليهم في الطرقات ، والتف الناس حول غيرهم ، فضلّوا وأضلّوا لأنهم خالفوا النبي في قوله " **ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبدا** " وتشتّت الأمة الإسلامية إلى مذاهب وطوائف بالكاد تحصى ، فمتى بدأ هذا التضييع وما هي صوره ؟

صور من مظالم أهل البيت عليهم السلام :

- **إهمال الصحابة لمشورة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبني هاشم**

كان جثمان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يوارى بعدُ الثرى ، حتى حدثت أول " فلتة " في التاريخ الإسلامي ، أو بالأحرى اثنتان . الأولى : عندما اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وقرروا تنصيب سعد بن عبادة

خليفة على المسلمين دونما رجوع إلى المهاجرين ، ما دفع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن يتدخلا وتحدث الفلتة الثانية بأن رفع عمر يد أبي بكر فبايعه الحضور ، دونما أي اعتبار لبني هاشم ورأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، ما دفع– بالتالي – علياً إلى الامتناع عن المبايعة ستة أشهر ، ويبايع أخيراً بعد أن أدرك أن امتناعه سيكون سبباً لشق عصا المسلمين ، وهنا يبرّر أهل السنة هذه الأحداث بأن امتناع علي إنما كان بسبب ما حدث بين أبي بكر وفاطمة رضي الله عنهما بشأن الوراثة من النبي صلى الله عليه وعلى آله ، مقلّلين من شأن أمر عظيم كهذا الأمر ، الذي ما زلنا ندفع ثمنه إلى اليوم الحاضر ، فنرى إلى اليوم ممالك وديكتاتوريات في العالم الإسلامي ، في حين ينعم غيرهم بالديمقراطية وتداول السلطة ، وإن كانت خلافة أبي بكر عادلة وعلى سيرة النبوة ، إلا أن أسلوب تنصيب الخليفة خلفت أثراً سيئاً في التاريخ الإسلامي . ولا ننسى – من جهة أخرى – ما حدث على أثر ذلك في العالم الإسلامي من " منافسة " جعلها الجمهور من الشيعة والسنة بين علي وأبي بكر رضي الله عنهما ، تلك المنافسة التي جهز لها كل فريق من أحاديث مختلقة بحيث أصبح إنتاج الأحاديث الموضوعة بضخامة إنتاج معمل معاصر لمادة من المواد الغذائية !!

في حين يؤاخذ المسلمون على غيرهم تقديس الأنبياء والصالحين ، وقعوا في نفس المشكلة . لا يمكن تبرير أفعال الصحابة كائناً من كان ، فما فعله عمر رضي الله عنه كان فلتةً تبعتها فلتةٌ أخرى من أبي بكر عندما عهد

إلى عمر بالخلافة من بعده ، وجعله خير الصحابة . ما يهمّنا من كل هذا أن علياً كرم الله وجهه حُرِم من الخلافة – وهو أحق الناس بها — ثلاث مرات : الأولى عندما استلمها أبو بكر والثانية عندما استلمها عمر والثالثة عندما استلمها عثمان ، وبالنسبة لعثمان رضي الله عنه فقد اختاره عبد الرحمن بن عوف بعد أن استشار بعض من كبار الصحابة .

قد يقول قائل : وما الذي جعل علياً أحق بالخلافة من غيره والنبي صلى الله عليه وعلى آله لم يعهد بالخلافة لأحد من بعده ؟

أقول : أما العهد مكتوباً ، فلم يقدّره الله وذلك عندما أمر النبي بلوح ودواة فاختلف الحاضرون بين أن ينفذوا أمره أو لا ! وإليك الأحاديث الصحيحة في ذلك : " عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده ، فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول : ما قال عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا . قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[1] " .

" عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ! ثم جعل تسيل دموعه ، حتى رأيت على خدّيه كأنها نظام اللؤلؤ . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة ، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر[2] " .

" عن سليمان بن أبي مسلم الأحول ، سمع سعيد بن جبير ، سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى بل دمعه الحصى . قلت : يا أبا عباس ، ما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فقال ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : ما له أهجر استفهموه . فقال : ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه . فأمرهم بثلاث ، قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم والثالثة خير إما أن سكت عنها وإما أن قالها فنسيتها . قال سفيان : هذا من قول سليمان[3] " .

---

(1) صحيح مسلم3 \1259

(2) مسلم 3 \1259

(3) البخاري 3 \ 1155 – 1156

فكما نلاحظ أن هناك وصية لم تكتب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راضياً مما فعله الصحابة ، فلم يبح بتلك الوصية بتقدير من الله سبحانه ، فيتحسر ابن عباس الذي كان بحراً من العلم على تلك الوصية ، ولو كانت قد قيلت في موقف آخر كما يدعي البعض ، لما تحسر ابن عباس وهو أعلم من هؤلاء ، ثم إن ادعاء البعض أن الوصية كانت بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمان المسلمين : " عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرني ان آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده . قال : فخشيت أن يموت قبل أن يأتيه الكتاب ، فقلت : يا رسول الله إني أحفظ وأعي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أوصيكم بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم[1] " . أقول : هذا الحديث يناقض ذلك الوارد في الصحيحين ، ثم إن الوصايا في هذا الحديث هي وصايا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله دائماً ما يوصي بها ، ولم تكن بتلك الوصية التي ستضل الأمة إن لم يبينها للصحابة . إن أردنا أن نعرف تلك الوصية لا بد أن نقارن قيمتها مع ما ورد من الأحاديث ، فنجد أنه حديث مر سابقاً وهو : " عن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا :كتاب الله وعترتي أهل بيتي[1] " .

---

(1)مسند الإمام أحمد 1\90

(2)سنن الترمذي 5\621

فالوصية كانت في غاية الأهمية وهي التمسك بالقرآن وبالعترة النبوية الشريفة ، والتمسك بالعترة ابتداؤه – من المؤكد – هو بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وهناك الكثير من الدلالات الأخرى على هذه الوصية ، منها أن علياً نفسه كان قد فهم من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه أحق الناس بها ، كالذي فهمه من الحديث الشريف : " عن سعد بن أبي وقاص قال خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي[1] " .

عندما نعود إلى تفسير هذا الحديث نلاحظ كما في تفسير كل الأحاديث المتعلقة بفضائل علي كرم الله وجهه ، تقليلاً لشأنه عند أهل السنة والجماعة ، ولا يجوز أن نهمل هذا الحديث ، فدلالاته واسعة سنبحث فيها ههنا عن قضية الخلافة ، فنقول : سبب هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم " استخلف " علياً على المدينة ، فاستهزأ البعض ، فقال النبي : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " ، فما هو هارون بالنسبة لموسى ؟

يقول تعالى : { **وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ**

---

(1) صحيح مسلم 4 \ 1872

سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(150) **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** (151) [الأعراف] .

في هذا الآيات نلاحظ السبب الذي جعل النبي يقول لعلي ما قال . فموسى عليه السلام لما أرسله الله إلى فرعون قال رب ابعث إلى أخي هارون ليؤازرني وأشركه في هذا الأمر ، ونحن نعلم أن النبي آخا بينه وبين علي كرم الله وجهه ، ثم في هذه الآيات يقول موسى لهارون : " **اخلفني في قومي** " وهذا القول متطابق تماماً مع استخلاف النبي صلى الله عليه وعلى آله لعلي ، وهنا يبرر البعض بأن هارون مات في حياة موسى ولم يخلف موسى ! أقول : ولكن علياً لم يمت في حياة النبي ! فلو عاش هارون بعد موسى فمن الذي كان سيخلف موسى ؟ هارون ، أم يوشع بن نون ؟ كذلك الأمر بين علي وأبي بكر . ثم إن القرآن يقول : { وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين }. وهذا الأمر منه عبرة ، وهي الحكم في القوم بصفته الآمر الناهي بعد موسى عليه السلام ، كذلك علي بن أبي طالب الذي يثبت النبي له ذلك من خلال الأحاديث التالية :

" عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه[1] " .

---

(1) سنن الترمذي 5 \ 591

" عن زيد بن أرقم – رضي الله عنه – قال : لما رجع رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن ، فقال : " كأني قد دعيت فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين : أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله – تعالى – ، وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض " ، ثم قال : " إن الله – عز وجل – مولاي ، وأنا مولى كل مؤمن " ، ثم أخذ بيد علي – رضي الله عنه – ، فقال : " من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1] " .

هذه أحاديث واضحة في وجوب خلافة علي ، فانظر إلى قوله صلى الله عليه وعلى آله : " إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن " ألا تلاحظ التسلسل في الولاية ، فالله ولي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أي أن النبي يمتثل لأوامره ويطيعه وهو معه لعلمه أنه جدير بأن يكون إلهاً ، وهو مستحق لطاعته وعبادته ، ثم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم يفدونه بأموالهم وأنفسهم ويمتثلون لأوامره وهم معه ، ثم يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله : " من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " . أي من كان مع النبي صلى الله عليه وعلى آله فلابد أن يكون مع علي لأن الحق معه يدور حيث دار ، وهذا الحديث متطابق مع الحديث الذي ييقول :

---

(1) المستدرك 4 \ 72

" أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي " ، وعلي رأس أهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله كما قلنا ، فمحبة علي واجبة على كل مؤمن ، وهي نابعة من محبة النبي ، والطاعة لعلي كذلك واجبة على كل مؤمن ، وهي نابعة من الطاعة لرسول الله ، فهل هناك أوضح من هذا على وجوب استخلافه ؟!

فإن كان الأمر كذلك - يتساءل متسائل - فلِمَ لمْ يسمِّ النبي صلى الله عليه وعلى آله الخليفة بعده ؟

انظر إلى الحديث التالي واحكم بنفسك سبب عدم تسميته للخليفة :
" عن حذيفة بن اليمان قال : قالوا : يا رسول الله ألا تستخلف علينا ؟ قال : " إني إن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ، ينزل عليكم العذاب " . قالوا : ألا نستخلف أبا بكر ؟ قال : " إن تستخلفوه ، تجدوه ضعيفاً في بدنه قوياً في أمر الله " قالوا : ألا نستخلف عمر ؟ قال : " إن تستخلفوه ، تجدوه قوياً في بدنه قوياً في أمر الله " . قالوا : ألا نستخلف علياً ؟ قال : " إن تستخلفوه - ولن تفعلوا - يسلك بكم الطريق المستقيم ، وتجدوه هادياً مهديا[1] " .
لاحظ قوله : " إن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب " ،وقوله : " إن تستخلفوه - ولن تفعلوا - يسلك بكم الطريق المستقيم

---

(1) مجمع الزوائد 5 / 176

وتجدوه هاديا مهديا " . أتعجّب أن لا يفهم هذا الحديث جمع من العرب الأقحاح ، فمرة يقول لهم أخاف أن تعصوا من أنا سأعينه عليكم فتصبح معصيتكم له معصية لي ، ومرة يقول لا أظن أنكم ستنصبون علياً خليفة عليكم ! ثم إنه لما اقترح الصحابة أبا بكر وعمر ، ذكرهم النبي بخير ، وعندما اقترحوا علياً ، ميّزه بصفات الحكمة والسداد ! فعلي هو الخليفة الذي يخشى النبي أن يعينه ، فيعصوه ، لأنه يعلم أن هوى كثير من قريش ليس في بني هاشم ، وخصوصاً رأسهم علي بن أبي طالب ، فقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله يقرّبه ويفضّله عليهم على الرغم من صغر سنه ، فقد ورد عن كثير منهم أنهم كانوا يشتكون علياً ، فيردهم النبي عليه السلام ويزيد من الثناء عليه ، فمرة يقول : هو مني وأنا منه ، ومرة يقول : لا تشكوا علياً ، فوالله إنه لأخيشن في ذات الله ، لذلك لم يكونوا ليدعوا لبني هاشم الخلافة أيضاً ، بعد أن فضلهم الله على باقي قريش بالنبوة ، فقد جاء في تاريخ الطبري أن عمر بن الخطاب قال لابن عباس : " يا بن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟ فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني . فقال عمر : "كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة " .

- **محاربة علي بن أبي طالب** : وممن خرج لحربه : طلحة والزبير والسيدة عائشة رضي الله عنهم ، مع علمهم بفضله .
- **تفضيل العلماء للصحابة بوجه عام على السبطين** : فمما يؤمن به أهل السنة والجماعة أن خير الأمة بعد رسول الله : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم

علي ثم بقية المبشرين العشرة ثم أصحاب غزوة بدر ثم أصحاب غزوة أحد ثم الذين ثبتوا في غزوة الأحزاب ثم أصحاب بيعة الرضوان ثم الذين هاجروا قبل الفتح !

نعلم أن الحسن والحسين عليهما السلام هما سيدا شباب أهل الجنة ، وقد جاء هذا الحديث مطلقاً ، فنقول : من هم شباب أهل الجنة ؟ وهل في الجنة غير الشباب ؟ لكن ذلك لا يصح . لذلك نقول : هما سيدا أهل الجنة ممن مات أو قتل وهو شاب ، فإن استثنينا الأنبياء من هذا الحديث ، يبقى غيرهم من الأولين والآخرين ممن مات أو قتل وهو شاب .

نأتي الآن إلى أصحاب غزوة بدر ، مع ملاحظة أن الحسن ولد في العام الثالث للهجرة ، وولد الحسين في العام التالي ، فهما ولدا بعد بدر عليهما السلام . فممن استشهد في بدر من الصحابة : عاقل بن البكير وعمره 34 سنة ، وعمير بن أبي وقاص وعمره 16 سنة . والآن هل الحسنان سيدا عاقل وعمير بما أن الأخيرين من أصحاب الجنة ، وهل عاقل وعمير خير من الحسنين بما أنهما خير الأمة بعد العشرة المبشرين ؟ فإن كان الرجل خيراً من سيده فماذا تعني السيادة ؟

وكذلك بالنسبة لأُحُد والأحزاب وغيرهما . ثم إن هناك مسألة ، فالحسن عندما استشهد كان عمره 48 سنة ، والحسين عندما استشهد كان عمره 56 سنة ، وهذا يعني أنهما لم يستشهدا وهما شابان ، فما معنى كونهما

سيدي شباب أهل الجنة ؟ تقول : أهل البيت أسياد بني آدم ، فجدهما سيد ولد آدم من الرجال والشباب وغيرهم ، فسيادته عامة ، وأمهما سيدة نساء أهل الجنة وهما سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما سيد الأمة بعد نبيها بدليل أن عمر بن الخطاب كان يناديه : " يا مولاي " .

لكن الأيادي الناصبية التي كانت تابعة للديكتاتوريات القائمة في العصرين الأموي والعباسي ، عملت على الحطّ من قدر أهل البيت عليهم السلام ومنهم الحسنين لتهوين أمرهم على الناس خوفاً على ملكهم ، فأصبح هذا التهوين " اعتدالاً " عند السنة ، وهو عادة موروثة أباً عن جد ، حتى أنني تحدثت مرة مع شاب من ريف حلب عن قصة مقتل الحسين ، فكان أن قال " سيدنا يزيد رضي الله عنه لم يكن له يد في قتل الحسين " ، فقلت : تقول : " سيدنا يزيد رضي الله عنه " ، وتقول " الحسين " ! فضحك . وكان ما فهمت من كلامه أنه يحب معاوية وابنه أكثر بكثير من أهل البيت ، أو بالأحرى لا يحب أهل البيت عليهم السلام ، فمن أين أخذ هذا الشاب ما أخذ ؟ أخذ ذلك من مجتمعه والقرية التي يعيش فيها ، وهي سنية ، ومن الطريف أن البعض يرمي من يفضل علياً على أبي بكر ، ومن يقول بإيمان أبي طالب رضي الله عنه ، يرمونهم بالكفر ، فقد رُمِي الشيخ أحمد بن زيني دحلان مفتي السادة الشافعية في مكة بما رُمِي به من قبل الناصبة ، لأنه قال بإيمان أبي طالب في كتابه " أسنى المطالب في نجاة أبي طالب " حتى إنه أُلِّفت كتب في الرد على هذا الكتاب ، منها ما ألفه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي : "

صيانة الإنسان من وسوسة زيني دحلان " . باعتبار أن من صلب معتقدات أهل السنة أن أبا طالب كافر ، في حين تدل أشعاره ومواقفه المشرفة المدافعة عن الإسلام وإخلاصه وتفانيه في الذب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، على أنه مؤمن مخلص ، لكن ذنبه أنه أبو علي بن أبي طالب فلا بد أن يكتب من الكافرين ، وكأنهم أخذوا من الله عهودا ومواثيق بأن الإيمان والكفر يدوران مع ألسنتهم فمن حكموا بإيمانه فهو مؤمن ومن حكموا بكفره فهو كافر ويُكَفَّر حتى الذي يقول بإيمانه بعدهم ! { **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40)** } [القلم] .

- **قتل الحسن والحسين عليهما السلام و تضييع حقوق أهل البيت :**

قتل الحسن على يد معاوية مسموماً بعد أن تنازل له عن الخلافة ، ثم قتل الحسين على يد يزيد بن معاوية في معركة غير متكافئة ، حيث عبأ عبيد الله جيشاً قوامه 30000 في مواجهة 32 فارساً و40 راجلاً (جيش الحسين عليه السلام) ، فحدثت أفظع مجزرة في التاريخ الإسلامي ، حيث قتل سبط النبي صلى الله عليه وعلى آله وكثير من أهل البيت عليهم السلام ، ثم بعد ذلك عُومِلوا في المجتمع معاملة المنبوذين في العصرين الأموي والعباسي ، وقتل منهم خلق كثير .

تم بحمد الله

المراجع

القرآن الكريم

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دارالريان للتراث .

أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، شرح النووي على مسلم ، دار الخير .

بو الحسن الحنفي الشهير بالسندي ، حاشية السندي على ابن ماجه ، دار الجيل .

محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود ، دار الفكر .

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، دار الكتب العلمية .

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، شرح السيوطي لسنن النسائي ، دار البشائر الإسلامية .

محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير .

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار إحياء الكتب العربية .

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية .

حمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بجر النسائي ، سنن النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية .

سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، المكتبة العصرية .

محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، المكتبة العلمية .

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، مسند الإمام أحمد ، دار إحياء التراث العربي .

عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، دار الفكر .

بو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار ، البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، مكتبة العلوم والحكم .

بو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مصنف عبد الرزاق ، المكتب الإسلامي .

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، لمستدرك على الصحيحين ، دار المعرفة .

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، المعجم الكبير .

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، المعجم الأوسط ، مكتبة المعارف .

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، المعجم الصغير ، دار الفكر

نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد ، مكتبة القدسي .

الدكتور عبد الصبور شاهين ، أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ، دار أخبار اليوم ، مصر .

أحمد بن زيني دحلان ، أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ، المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ، الأردن .

الأب ألبير أبونا ، الآراميون في التاريخ ، دار المشرق الثقافية ، دهوك ، كردستان العراق .

سيد محمود القمني ، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول ، مدبولي الصغير ، مصر .

جلال الدين السيوطي ، إحياء الميت بفضائل أهل البيت ، دار المدينة المنورة .

الدكتور أحمد محمود الخليل ، مملكة ميتاني الحورية ، دار موكرياني للبحوث والنشر ، أربيل ، كردستان العراق .

ابن تيمية ، فضل أهل البيت وحقوقهم ، دار القبلة ، جدة ، السعودية .

محمد بن علي الحربي ، فضائل أبي بكر الصديق ، دار الصحابة للتراث ، طنطا .

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ابن المغازلي ، علي بن محمد الواسطي ، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار المنهاج ، بيروت ، لبنان .

المراجع الأجنبية

الدكتور موريس بوكاي ، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية ، ترجمة فوزي شعبان ، المكتبة العلمية .

أ.ك. ماك ألستر ، تاريخ الحياة ، ترجمة الدكتور فؤاد العجل ، مطبعة جامعة دمشق 1978 م .

الفهرس